

وَحَوَّةُ الْحَوَّةِ

بين عيسى و آدم

وَالْعِلْمُ الْجَدِيدُ

تأليف

الأستاذ / محمد شهاب الدين الندوي

السنة السادسة - العدد ٦١

ربيع الثاني ١٤٠٧ هـ - ديسمبر ١٩٨٦ م

بين علم آدم
والعلم الخالد

تأليف
الأستاذ / محمد شرعاب الدين الندوي

السنة السادسة - العدد ٦١
ربيع الثاني ١٤٠٧ هـ - ديسمبر ١٩٨٦ م





مقدمة الكتاب

إن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد السماوى الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو الذى يرشد ارشاداً شاملاً إلى الوجهة الصالحة فى جميع قضايانا الفكرية والحضارية والعمرانية ويحل سائر المعضلات العويصة من المشاكل الاجتماعية والدولية ، وبذلك العقبات التى نجدها فى طريقنا إلى الله تعالى ، ويتور عقولنا ويفتح نوافذ قلوبنا المغلقة . وهو كتاب الله الخالد الذى يبحث فى قضايا الانسان الحيوية الأبدية . فهو جديد لا يبلى جدته ، ولا يزول رواؤه وبهاؤه أبداً . فرسالته دائمة الأثر وخالدة التوجيه ، وحقائقه أبدية لا تقبل أى نسخ أو تبديل . وإنه لسوط فى مجال الفكر والتصور وتحلّى البشر أن يعرضوا مثل هذا الكلام علواً وكهلاً . وهو المثل الأعلى من كل وجه وناحية . وهو نموذج رائع من روائع الصنع الربانى الذى لا مثيل له فى الصنع البشرى .

إن هذا الكتاب الفريد القَدْ لا يشبه كلام الانسان بأسلوبه المعجز ولا يضاهى كلاماً من صنع بشر ، فينبها بون بعيد ومسافة شاسعة ، لا يلتقيان فى أية نقطة . وهو الكتاب البديع المتفرد الملىء بالمعاني الحقة والحقائق الأبدية التى يصدقها الزمان والعلوم العصرية يوماً فيوماً .

وإن هذا الكتاب يمثل في تحقيق هذه المميزات والدعوى في
قصة آدم وتعليم ربه له أسماء كل شيء . كما هو يمثل في فلسفة هذه
القصة النهضة الإسلامية ونهضة المسلمين في العصر الراهن . وبالله
التوفيق .

صفحة جديدة لأسرار القرآن الكريم

قضية اليوم :

إن القرآن الكريم هو منبع أساسى لجميع أفكارنا الدينية والشرعية والاجتماعية والحضارية . إنه يرشد البشرية فى سائر القضايا الحيوية والعمرانية ارشاداً تاماً ولا يتركها فى ظلام وضلال تحبط خطط عشواء . فمن هذه الوجهة إذا نظرنا فى هذا الكتاب الخالد وتدبرنا فى آياته الأبدية تبيّنت لنا الأمور واهتدينا إلى حل القضايا العويصة المعقدة التى يتحير فيها المسلمون فى هذا العصر فكرة واعتقاداً أمام تحديات العصر الراهن .

ومن أكبر قضايا اليوم قضية التوافق بين العلم والدين أو مسألة ارتباط العلوم الحديثة والتكنولوجيا بالدين الاسلامى الخفيف . فحزب متطرف من المسلمين يرى أن الاسلام غير متكامل لا يرشد الانسان فى القضايا الجديدة ، وهو يؤمن بتأثير الحضارة الجديدة والعلوم الحديثة وحدها ، رافضاً جميع أمور الديانة . وحزب منهم متدين ومتصلب ينكر بالعكس أى تأثير للعلوم والحضارة الجديدة ، ولا يرى أية صلة وقاربة بينها وبين الدين ، سوى الإيمان بالله وحده ، فلا يلتفت إلى الظروف والأوضاع أى التفات . وهناك حزب بينهما متحير ، لا يعلم بأيهما يصدق وبأيهما يلتحق . وهكذا شتى

طبقات هذه الأمة حائرون اليوم بين الدين والدنيا وبين الحضارة والعلوم ، فأهملوا مصالح الدين والدنيا وغضوا البصر عن سائر الشؤون والأحوال التاريخية والسياسية والاجتماعية والحضارية .

إنَّ الفصل بين الدين والدنيا والتفريق بين العلم والديانة قد ضر كثيراً في القديم والحديث ، حتى انهزمت الأديان التي قامت باهمال الدنيا ومقتضياتها وفشلت شر فشلي في ساحة الحياة كالمسيحية القديمة والهندوكية والبوذية ونحوها . إن الاسلام هو الدين الوحيد الذي يبيِّن الصلة الصحيحة بين العلم والدين ويوضح المبادئ والتصورات الأساسية بين الديانة والحضارة ، ويرشد الناس في مجال الفكرة والتصور ارشاداً صحيحاً لا خفاء فيه ولا غموض .

ومن هذه الوجهة يجب علينا أن نرجع إلى يتابع القرآن ونقتبس منه ما يتور عقولنا وأفكارنا وأن نتأمل فيما خفي علينا من أمور الدين والدنيا ، لنقود العالم قيادة صحيحة فنؤدي ما يجب علينا من الواجب الديني والمسئولية ، لنحصل لنا سعادة الدين والدنيا معاً .

العلم الأول الذي أعطى الانسان :

وعلى كل ، فإن العلم الحديث هو الموضوع الأساسي الذي يجادل فيه المجادلون . ونحن الآن في صدهد للبحث والدراسة وتبيين الحقيقة من حيث احتياجه وعدمه ، أى هل هو من الضروريات التي لا بد منها أم لا ؟ - فكما سبق أن بيناه - فريق يراه ضرورياً بينما فريق آخر يرفضه ويهينه ولا يرى له أى تأثير في الحياة الانسانية والاجتماعية . وهذه نظرية خاطئة كما يظهر بالتصور القرآني الكريم .

فإن كتاب الله تعالى يبين لنا بكل وضوح أن العلم الذى أعطى الانسان لأول مرة فى الدنيا لم يكن علم الدين أو علم الشريعة ، بل كان علم الأشياء والموجودات . وهو الذى يسمّى فى العصر الراهن بالعلم الجديد أو « SCIENCE » . وهذا العلم فضّل آدم عليه السلام على الملائكة وسائر الخلق . فقد قال الله تبارك وتعالى فى قصة آدم :

﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها﴾^(١) .

وما هذه الأسماء الا عناوين الأشياء وتعريفاتها وخصائصها ومنافعها ومضارها التى لها أهمية بالغة فى مجال الخلافة فى الأرض . ولا تقوم الخلافة أى سيادة العالم والسلطة على الكينونات إلا بهذا العلم الأساسى . ولذلك علّم الله تعالى الانسان الأول هذا العلم الهام بعد مشروع استخلاف الانسان على الفور كما تظهر هذه التصورات بأول وهلة من النظر . وفى تأييد هذه النظرية ومناصرتها نحن نقدم بعض بيانات كبار المفسرين والعلماء .

ما هى الأسماء :

الاسم لغة ما تعرف به الأشياء . أى ما يعرف به ذوات

(١) سورة البقرة الآية ٣٠ - ٣١ .

الأشياء . فقد صرح أهل اللغة أن اسم الشيء علامته .^(١)
قال أبو العباس : الاسم رسم وسمّة تُوضَع على الشيء تُعرف
به . قال ابن سيده : والاسم اللفظ الموضوع على الجوهر أو العرض
لتفصيل به بعضه من بعض .^(٢)

وقال الراغب الأصفهاني : (وعلم آدم الأسماء كلها) أى
الألفاظ والمعاني مفرداتها ومركباتها . لأن معرفة الأسماء لا تحصل إلا
بمعرفة المسمّى .^(٣)

وقد ذكر صاحب لسان العرب ابن منظور الأفريقي المصري :
قليل معناه علم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات العربية
والفارسية والسريانية والعبرانية والرومية وغير ذلك من سائر
اللغات .^(٤)

وقال ابن جرير الطبري عن ابن عباس رضى الله تعالى عنها :
قال علم الله آدم الأسماء كلّها ، وهى هذه الأسماء التى يتعارف بها
الناس . إنسان ودابة ، وأرض ، وسهل ، وبحر ، وحمار ، وأشباه
ذلك من الأمم .^(٥)

هذا ، ويوجد هناك بعض الاختلاف فى تفسير هذه الأسماء ،

-
- (١) القاموس المحيظ . للفيروز آبادي ٣/ ٣٤٤ . دار الفكر بيروت . ١٣٩٨ هـ ونسب
العرب لابن منظور الأفريقي المصري . ٤٠١/ ١٤ . دار صادر بيروت . وانظر أيضا
المفردات فى غريب القرآن للأصفهاني . ص ٢٤٤ . بيروت .
(٢) لسان العرب . لابن منظور . ٤٠١/ ١٤ .
(٣) المفردات فى غريب القرآن . ص ٢٤٤ .
(٤) لسان العرب . ٤٠٢/ ١٤ .
(٥) جامع البيان فى تفسير القرآن . للطبري . ١٧٠/ ١ .

كما ذكره ابن الجوزى فى تفسيره حيث يقول : وفى الأسماء التى علّمه قولان : أحدهما أنه علّمه كل الأسماء ، وهذه قول ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة . والثانى أنه علّمه أسماء معدودة لمسميات مخصوصة . (١)

ولكن الحق فيه هو القول الأول الذى قاله ابن عباس وأصحابه أنه تعالى علم آدم الأشياء كلّها . ويؤيد ذلك ما رواه البخارى فى صحيحه : أن الناس فى يوم القيامة يتوجهون إلى آدم عليه السلام من تعب وشدة ، ثم يقولون له : «أنت أبو الناس ، خلقتك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلّمك أسماء كل شيء ...» (٢) قال الحافظ ابن كثير بعد ذكر هذا الحديث : «فدل هذا على أنه علّمه أسماء جميع المخلوقات» (٣)

ونظراً إلى هذا الأساس المتين فإن معظم المفسرين ذهبوا إلى هذا المعنى وأخذوا بشتى أطرافه فى البحث والتوجيه . فالعلامة الآلوسى يرى أنها الأسماء التى تقتضى منصب الخلافة ، فيقول : «والحق عندى ما عليه أهل الله تعالى . وهو الذى يقتضيه منصب الخلافة . وهو أنها أسماء الأشياء علوية أو سفلية ، جوهرية أو عرضية» . (٤)

ويقول الزمخشري فى شرح هذه الآية بأن المراد هنا بالأسماء أسماء

-
- (١) زاد المسير فى علم التفسير . لابن الجوزى . ٦٢/١ - ٦٣ - دمشق . ١٣٨٤ هـ .
 (٢) الصحيح للبخارى . كتاب التفسير . ١٤٧/٥ . طبعة استانبول . ١٩٧٩ م .
 (٣) تفسير القرآن العظيم . لابن كثير . ٧٣/١ .
 (٤) روح المعاني . للشهاب الدين الآلوسى . ٢٢٤/١ . بيروت .

المسميات وهي الأجناس المختلفة التي خلقها الله تعالى ، وعلمه أحوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية .^(١)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في هذا الصدد شرحاً لهذا المعنى : « وقد ميّز كل مسمّى باسم يدل على ما يفصله من الجنس المشترك ، ويخصّه دون ما سواه . ويبين به ما يرسم معناه في النفس . ومعرفة حدود الأسماء واجبة ، لأنه بها تقوم مصلحة بني آدم في النطق الذي جعله الله رحمة لهم لا سيما حدود ما أنزل الله في كتبه من الأسماء كالخمر والربا .^(٢)

ويقول العلامة أبوبكر أحمد الجصاص الرازي : يدل على أنه علم الأسماء كلّها لآدم ، أعنى الأجناس بمعانيها لعموم اللفظ في ذكر الأسماء . وأنه علمه أياها بمعانيها ، إذ لا فضيلة في معرفة الأسماء دون المعاني . وهي دلالة على شرف العلم وفضيلته .^(٣)

فعلى هذه الوجهة ذهب كثير من المفسرين مثل الفخر الرازي^(٤) والشيخ رشيد رضا^(٥) إلى أن المراد بتعليم الأسماء هي صفات الأشياء وخواصها وميزاتها ، وغيرها . وزاد بعض المفسرين مثل البيضاوي^(٦) والجوهري^(٧) - على ذلك أنه يدخل فيه

(١) الكشف عن حقائق التنزيل . لجار الله الرمحشري . ٢٧٢/١ .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية . ٥٨/٩ - ٥٩ . الرياض .

(٣) أحكام القرآن للجصاص . ٣١/١ . بيروت ١٣٢٥ هـ .

(٤) انظر مفاتيح الغيب للرازي . ٢٥٨/١ .

(٥) انظر تفسير المنار . ٢٦٢/١ . دار المعرفة بيروت .

(٦) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل لبيضاوي .

(٧) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم . ٢/١ . مصر .

أصول العلم وقوانين الصناعات واختراع الآلات وغير ذلك ، كما سيأتى تفصيلها .

وبالجملة قد أحاط لفظ الأسماء - بهذه التصريحات - جميع موجودات الكون وسائر ظواهر العالم من أعراضها وخصائصها وآثارها . وهذا علم واسع المدى . وبه يتم مصالح الدين والدنيا . ولخطورته سعد الانسان باعطاء هذا العلم فى أول يومه .

بعض حقائق مذهشة :

إن هذه الآيات المبحوث فيها هى تزودنا فى طياتها دروساً وبصائر لا تحصى . ولكن نكتفى باستعراض بعض الحقائق التى تتعلق بخلافة الأرض فقط لخطورته البالغة .

تحسين الأرض مضافاً للإنسان :

﴿الأسماء كلها﴾ هذا المفهوم يدل على أن جميع أشياء الكون وأنواع الحياة وأصنافها قد خلقت بكاملها قبل خلق آدم عليه السلام . وبالتالي فإن الكرة الأرضية كانت متزينة ومشحونة بجميع أمتعة الحياة وحوائجها ، خالية عن كل نقص أو عيب ، لتكون مضافاً للإنسان ، وينسجم مع الفطرة الانسانية وحاجاته انسجاماً كاملاً من كل وجهة . هذا هو المفهوم بقوله تعالى : ﴿وَأَتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ (١)

(١) سورة إبراهيم الآية ٣٤ .

علم الأسماء والعلم الحديث :

إن أول علم رزق الانسان هو علم الأشياء . يعنى علم جميع موجودات الكون بخصائصها ومميزاتها . ونكاد نعبر عنه بـ «علم الأسماء» حسب مصطلح القرآن الكريم . وعلى كل ، هذا هو العلم الحديث الذى يعبر فى العصر الراهن بـ (SCIENCE) . فإن العلم الحديث يبحث عن نفس هذه الأشياء وخواصها وظواهرها وفاعلياتها التى عبر القرآن عن جميع هذه بلفظ معجز وهو (الأسماء) . فإن علم الطبيعة (PHYSICS) ، وعلم الكيمياء (CHEMISTRY) وعلم الأحياء (BIOLOGY) وعلم الجولوجيا (GEOLOGY) وعلم الأفلاك (ASTRONOMY) وغير ذلك من العلوم الكونية إنما تدور حول الأشياء المادية (أى حول المسميات) وخواصها ونعوتها ومميزاتها (أى حول الأسماء) فحسب . وبالتالي فإن من المستحيل فهم (الأسماء) حق الفهم بدون معرفة هذه العلوم الحديثة . لأن العلم الحديث عبارة عن البحث والدراسة عن الأشياء الموجودة ، والمظاهر الكونية بتراكيبها وماهياتها وكيانها .

علم الأسماء وخلافة الأرض :

إن علم الأسماء والخلافة يرتبطان برباط وثيق ، ولذلك قد سبقا معاً . إنَّ الخلافة أو النيابة فى الأرض لا تقوم الا بالنبوغ فى العلوم الكونية والصنائع الاجتماعية والمدنية . والتخلف فى هذه الساحة إنما يدعو إلى البؤس والشقاء من الوجهة السياسية والاجتماعية كما هى الظروف الراهنة شاهدة على هذا . فإن الأمم الراقية التى تملك هذه

القوات المادية تقهر الأمم المتخلقة . وتهتدهم حيناً فحيناً . فإن هذا العلم ضرورى من هذه الوجهة ولا يُستهان بها .

وإذا تأملنا فى حكمة هذا العلم وفلسفته واستعرضنا جوانبها تبين لنا هذه الحقيقة الأساسية أن الانسان إذا لم يكن عارفاً بتراكيب الأشياء وماهيتها ووظائفها النوعية لا يسع له الاستفادة بالكمال ، ولا يقدر على استخدام القوى المودعة فيها من غير تسخيرها والتغلب عليها فإذا لم يقهر هذه الموجودات ولم يخضع طاقاتها ، فلا معنى له أن يكون خليفة فى الأرض ، وتفوقه آنئذ الأهداف الربانية التى خلق من أجلها . ولذا أثر الله الانسان على الملائكة للاستخلاف فى الأرض كما صرح المفسرون بذلك . يقول الشيخ محمد شفيع - المفتى الأكبر لباكستان - فى تفسير هذه الآية :

«لابد لاستحقاق الخلافة فى الأرض من معرفة المخلوقات الأرضية وخصائصها وآثارها ، وما كانت طبيعة الملائكة حاملة لذلك» . (١)
وكتب الأستاذ الجوهري فى هذا الصدد : «فمن لم يقدر على معرفة مراتب الأشياء لا يستحق أن يكون خليفة عليها» . (٢)

أهمية العلوم الكونية :

إن الله تبارك وتعالى هو الذى علم آدم جميع أسماء الكون ونوعاتها وصفاتها . فهو المعلم الأول من هذه الوجهة كما ينص القرآن

(١) تفسير معارف القرآن . ١/١٧٨ .

(٢) الجواهر من تفسير القرآن الكريم . ٥٢: ١ .

الكريم : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ وهكذا رزق البشر بعلم الأشياء بواسطة أئى البشر آدم . فانسان اليوم يصدق هذا التعليم الربانى بتعلم هذه الأشياء وصفاتها . وكما قال الشيخ رشيد رضا لتصديق هذا التعليم يكفى ثبوت هذه القوة للبشر (بمجرد) معرفة الأشياء بالبحث والاستدلال .^(١)

وأما الفرق بين آدم وأولاده فهو أن علم آدم كان موهوباً من الله تعالى . أى كان هو العلم الذى أعطاه الله من غير كسب ومشقة . بينما العلم الذى أعطى أبناء آدم هو مكسوب وحافل بالتعب والعناء ، أى العلم الذى لا يحصل إلا بالكد والجهد . ولكن الله فطر الناس مجولين باستعداد كسب هذا العلم من أول اليوم لكى يسحروا أشياء الكون ويؤدّوا مسؤولياتهم تجاه خلافة الأرض .

اتضح فيما أسلفنا فضيلة العلم وشرفه ، إلا أن هناك تثبت أهمية علم التكوين أى علم المظاهر ومعرفة الأشياء بالأخص . وقد اتضح بذلك أيضاً أن هذا العلم ليس محظوراً فى منظور الشرع ، ولا العلم (الغير اسلامى) ولا أمر بلا جدوى ، بل إنما هو من التعليم الربانى والهدف الأول من أهداف الخلافة فى الأرض . فلو لم يكن هذا العلم ضرورياً لم يعلمه الله تعالى قط . وبالتالي فإن الجهل من هذا العلم وغض البصر عن مقتضياته إنما يؤدّى إلى الخسارتين الدينية والدنيوية ، كما سنرى فى البحوث الآتية . ولخطورة الأمر قد أوتى الانسان علم جميع الموجودات على الفور بعد ما خلق ، فلا بد له

(١) انظر تفسير المنار . ٢٦٣/١ . دار المعرفة . بيروت .

من الخلافة في الأرض . فإن العلم الذي علّمه ربّ السماوات والأرض بنفسه لن يكون مهيناً ووضيعاً كما يزدرية أهلُ الملل والأديان .

علم الأسماء والصناعات :

صرّحنا فيما اسلفنا بأن بعض المفسرين ذكروا أن الصناعات المختلفة واختراع آلاتها أيضاً داخلة في تعليم الأسماء ، كما يقول بذلك البيضاوى في تفسيره :

«أهمه معرفة ذوات الأشياء وخواصّها وأسماءها وأصول العلم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها» .^(١)

وقال الجوهري : (وأهمه المعرفة والاختراع وسائر الصناعات) .^(٢)

وطبقاً لهذه التصريحات فإن مصطلح «علم الأسماء» شامل واسع المدى ، يشمل جميع العلوم والفنون المادية . ونستطيع أن نعبر عنه في المصطلح المعاصر بالعلم والتكنولوجيا (SCIENCE AND TECHNOLOGY) . لأن مفهوم العلم والتكنولوجيا هو معرفة المادة (MATTER) واستخدام طاقاتها (ENERGIES) ، مثل اعداد أنواع من المنتجات والمركبات الكيماوية وشتى لوازم المدنية وملتزماتها ، والانتفاع بالحرارة والكهرباء بعد تدليلهما في شتى مجالات الحياة البشرية . فكل ما

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى . ٦١/١ . ديوبند .

(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم للطنطاوى الجوهري . ٥٢/١ .

يوجد اليوم من الصناعات (INDUSTRIES) وكل ما ينتفع به الانسان من المنافع الاقتصادية والمدنية ، إنما هي ثمرات هذه العلوم الكونية وتقدمها . فمن هذه الوجهة تبين لنا بكل وضوح أن العلم والتكنولوجيا لا زمان للخلافة في الأرض ، فهما توأمان لا نفرق بينهما أبداً .

علم الأسماء يقضى على عبودية المظاهر :

يَهْدِي الْمُتَحَدِّقُونَ بأن تصوّر الآله والدين إنما نشأ في البداية بالبيئة المدهشة العجيبة المحاطة بالانسان . فلما وجدت هذه المظاهر الرهيبة بأطرافه خضع أمامها يعبدها وقاية من شرها . هكذا بدأ الدين ونشأ تصور الآله والأخلاق وغير ذلك من تصورات الديانة . وهذا ما يقوله الفيلسوف هربرت سبنسر (SPENCER) وغيره من الفلاسفة .

ولكن قصة تشريف آدم بعلم الأسماء تبطل هذه الشبهة الواهية والتصور الخاطيء المخلّق ، وثبت بأن الانسان الأول لم يظهر في بيئة الجهل والخوف المظلمة المدهشة ، بل وإنما طلع على سطح الأرض بنور ساطع من العلم والعرفان الربانيتين ، ممسكا مشعل علم الأسماء في إحدى يديه ، وعنان تسخير الأشياء والموجودات في الأخرى ، ليقطع بهما مجال الخلافة بالسير الحثيث .

فكانت الحكمة الربانية بتشريف هذا العلم في بداية الأمر أن يتعرف الانسان على جميع الأشياء ولا يكون منها خائفاً مذعوراً ، فيغلق بهذه الخطوة الأساسية باب الشرك والخضوع أمام المظاهر

الكونية ، وأعلن بكل صراحة أن هذه الأشياء والكينونات ليست آلهة للإنسان ، بل إنما هي خادمة له . والإنسان هو أرفع مرتبة من هذه الموجودات المخلوقة التي ليست فيها شائبة من الألوهية . فلا ينبغي للإنسان أن يعبد ما كان دونه مرتبة ومنزلة . فقد قال الله عز وجل :

﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾^(١)

(١) سورة الإسراء الآية ٧٠ .

الردّ على نظرية النشوء والارتقاء

قد تبين فيما ذكرنا سالفاً أن خلق الإنسان ونشأته كانت في بيئة خاصة ومناخ مخصوص ورقابة متميّزة . وهذا كله يبطل نظرية النشوء والارتقاء أيضاً . ولكن لا يتسع لنا هذا المقام للبحث المبسوط على هذا الموضوع والأخذ بجوانبه ، وإنما هي نظرة عابرة في سياق هذه المعاني والحقائق الثابتة من ناحية البيان القرآني الكريم ، ليتم هذا البحث من كل وجهة .

فمن ناحية هذه النظرية قد مضت آلاف من السنين بعد ظهور النوع الانساني بشتى تحولات وتطورات من نوع إلى نوع ، ومن طور إلى آخر ، حتى اتصف بالنطق والتكلم إلى أن استطاع القراءة والكتابة بعد فترة طويلة وزمن بعيد في العصر الراقي .

وبالتالى فإن بعض الناس يتصورون بأن الانسان كان يعبر عما في خاطره بالاشارة والإيماء في بداية أمره . ولكن التصور الاسلامي الأصيل يأبى هذا التصور الخاطيء ويستأصل جذوره . فإن اتصاف أبى البشر آدم عليه السلام بالنطق والكلام وتشريفه بالعلم والبيان ، وتعليمه جميع الأشياء وصفاتها عقب خلقه ونشأته ، ينفي هذه النظرية بأن الانسان الأول ظهر طارئاً ومصادفاً بغير تقدير الهى نفيّاً بيّناً ، ومما يبطل هذا التفكير المخلوق ، ، البيان الثابت من النص

القرآنى أن الانسان منح النطق والتكلم فى الوقت الذى خلق فيه .
فكلهما حصل معاً من غير فصل أو فترة من الزمن .
﴿خلق الانسان علمه البيان﴾^(١) .

فقد تجلّت هذه الحقيقة الأبدية بغير ذكر حرف العطف بين
الفترتين . فتبيّن أن خلق الانسان وتعليم البيان - أى قبل تعليم
الأسماء - وقعاً مباشرة فى لحظة واحدة بغير انقطاع .
ثم إنّ خلق الانسان كما أنه مبعث حيرة واستعجاب من الوجهة
العلمية ، فكذلك قدرته على البيان والتكلم يحدث دهشة
واستغراباً . لأن هاتين القضيتين من الأسرار الالهية التى لم يفز
الانسان ولا العلم الجديد باكتشاف كنهها . وحقيقة الأمر أن البيان
والتكلم موهبة ربانية ، ولا يحصل بالسعى والجهد ، وإلا لكان
المنطق المعقول أن تنتهى إلى هذه الدرجة أنواع أخرى - فبالعكس
نرى جميع المحاولات لتعليم الغول (GORILLA) وشمبىزى
(CHIMPANZEE) التكلم ذهبت سدى فى العصر الراهن ، وهما
أقرب الأنواع للإنسان ، كما يقول الماديون .

ثم ان التصور القرآنى - حيث يجعل الانسان خليفة - يناقى هذه
النظرية الباطلة التى لم ينزل بها سلطان . فإن الشئ الذى يولد وينشأ
تلقائياً بغير خطة سابقة ، لا يكلف شرعياً وعقلياً . لأنه من هذا
المنظور لا يكون من صنع خالق ومبدع ، ولا يقرر من صنعة

(١) روى عن ابن عباس وقتادة أنه آدم عليه السلام . كما رواه ابن جرير فى تفسيره .
ونقله ابن الجوزى فى تفسيره . زاد المسير فى علم التفسير . ١٠٦/٨ .

تعميم وتقدير . مع أن القرآن الكريم مملوء من التعميمات والمشروعات
الالهية تجاه خلق وابداع جميع الموجودات الكونية ومقاديرها ، كما
يقول الله تبارك وتعالى :

﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ .^(١)

صدر حديثاً كتاب علمي هام من اكسفورد «معجم الحقائق
المجهولة» THE ENCYCLOPAEDIA OF IGNORANCE شارك فيه ستون
من العلماء الأخصائيين في شتى مجالات العلم ، واستعرضوا علومهم
ومواضيعهم بفحص وتدقيق ، وأضاءوا هذه القضية الأساسية
بحسن وكمال بأن معلومات الانسان قليلة جداً بنسبة مجهولاته ، وأن
هناك من المعارف والأسرار الطبيعية والاحيائية التي لا تنتهى ولم
يتوصل إليها البشر حتى الآن .

وفي هذا الكتاب القيم بحوث في إبطال نظرية النشوء والارتقاء
أيضاً . منها بحث مهم عنوانه «سفسفات نظرية الارتقاء»
(FALLACIES OF EVOLUTION THEORY) ، وخلاصته أن الانسان لا
يعلم شيئاً من القوانين الارتقائية المزعومة ، وتسميتها بالحقائق
أغلوطة وسفسطة . ويقول صاحب المقال (E.W.F. TOMLIN) في
نهاية القول : «إن أشدّ التعقيد في التفكير الارتقائي المعاصر - وهو
الذي يبعث كثيراً من الأغلوطات - أن الحقائق الاحيائية توجهه
وتشرحه في ضوء النظريات الطبيعية المهجورة .»^(٢)

(١) سورة الفرقان الآية ٢ .

(٢) انظر الكتاب المذكور . ص ٢٣٤ . اكسفورد . ١٩٧٨ م .

حقيقة الخلافة ومفهومها الصحيح

وهناك ينشأ بحث آخر هام بأنه ما هي صفة كون الانسان خليفة على وجه الأرض وما هي كيفيته ؟ فإن الخليفة لغةً من يكون خلفاً لغيره ، أى يحىء بعده فيصير مكانه . فالانسان إذاً لمن يخلفه ولمن يقوم مقامه ؟ هذا سؤال مُهم ذو بال . والمفهوم السائد في هذا الصدد أن آدم عليه السلام كان خليفة الله في الأرض ، والمراد بالخلافة هي الخلافة الالهية . ولكن هذا التصور الخاطيء ينافي بالتصور الاسلامى الاصيل . وقد نقد شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى - هذا التصور الباطل نقداً شديداً ، لأن الانسان لن يكون خليفة عن الله تعالى أبداً . فإن «الخليفة إنما يكون عند عدم المستخلف بموت أو غيبة ، ويكون لحاجة المستخلف إلى الاستخلاف ... وكل هذه المعانى منتفية في حق الله تعالى ، وهو منزّه عنها . فإنه حتىّ قيوم شهيد لا يموت ولا يغيب .» (١)

فالمراد بالخلافة إذاً ليس خلافة عن الله تعالى ، بل خلافة من كان قبله من الخلق كما يقول جماعة من السلف . (٢) وقد ذهب إليه الامام ابن تيمية (٣) ولذلك أنكر أبو بكر الصديق رضى الله عنه أن

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية . ٤٥٠/٣٥ . طبعة الرياض .

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الصبّري . ١٥٦/١ - ١٥٧ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية . ٤٣/٣٥ .

يكون خليفة لله ، لما قالوا له : يا خليفة الله ! فقال لستُ بخليفة الله ولكني خليفة رسول الله ﷺ ، وحسبي ذلك .^(١) بل الله سبحانه وتعالى يكون خليفة لغيره من هذه الوجهة ، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام : «اللهم أنتَ الصاحب في السفر والخليفة في الأهل» .^(٢)

وقال النبي عليه الصلاة والسلام في رواية أخرى : «والله خليفتي على كل مسلم» .^(٣)

فقد تبين بهذه المنصوصات حقيقة الخلافة وتصورها الصحيح في الاسلام . فإن الخلافة هي النيابة من شتى طبقات الخلق والناس كما يظهر بالكتاب والسنة . ولذلك لم تنسب الخلافة في القرآن الكريم إلى الله تعالى في أى موضع من المواضع . أى لم يقل الله تعالى انى جاعل الانسان خليفتي في الأرض ، بل إنما قال : «إنى جاعل في الأرض خليفة» يستعمل هذه الكلمة نكرة ، كما يقول في مواضع أخرى :

- ﴿يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض﴾^(٤) .
- ﴿هو الذى جعلكم خلائف في الأرض﴾^(٥) .
- ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾^(٦) .
- ﴿امن يجب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء﴾

(١) المرجع السابق ٤٥/٣٥ . والمقدمة لابن خلدون . ص ١٠٥ . مصر .

(٢) الصحيح لمسلم . كتاب الحج . حديث ٤٢٥ .

(٣) رواه ابن ماجه في سننه في أبواب الفتن .

(٤) سورة ص الآية ٢٦ . (٥) سورة فاطر الآية ٣٩ .

(٦) سورة الأعراف الآية ٦٩ .

الأرض» (١)

والخليفة إنما يكون من فرد لفرد ومن بعضهم لبعض ، كما يتبين ذلك من الأحاديث النبوية . فقد روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال : «من جهّز غازياً فقد غزا ، ومن خلف غازياً في أهله فقد غزا» (٢) وروى البخاري أن النبي ﷺ قال : «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبي خلفه نبي» (٣) .

ومن ثم ثبت أن الانسان إنما يخلف من كان قبله من الخلق والناس ، حيث يكون خليفة للغائب ، ولا يكون خليفة للحاضر الشاهد . والله تعالى سبحانه لا يكون إلا حاضراً وشاهداً . فإذا لا تصلح الخلافة عن الله تعالى .

وجهة جديدة للخلافة :

ثم إن كون الانسان خليفة يثبت حقيقة أخرى بأنه هو آخر نوع من أنواع هذه الكون ، فلا يكون بعده أى نوع آخر . ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ . فعلم آدم جميع الأسماء وسائر المسميات ، أى جميع أنواع المخلوقات وجل مظاهر الحياة التي خلقت قبل آدم . فلا نوع إذا باق ولا هوات بعده . وهو في الواقع نبأ بأن لم تبق هناك مسافة شاسعة بين البشر واليوم الآخر . كأنه قيل : فليستحضر الانسان يوم القيامة . ويؤيد هذا المفهوم والاتجاه ما روى عن السلف عن خلق آدم

(١) سورة النمل الآية ٦٢ .

(٢) الصحيح لمسلم . كتاب الامارة . حديث ١٣٦ .

(٣) رواه البخاري في كتاب الانبياء ١٤٤/٤ . طبعة استانبول .

عليه السلام ، بأنه خلق بعد ما خلقت السماوات والأرض وما فيهن
في ستة أيام ، فخلق آدم في يوم الجمعة في آخر ساعة من
ساعاتها .^(١)

ويناصر العلم الجديد ادعاء الاسلام ، بأن الانسان «خليفة» من
الوجهة الاحيائية (BIOLOGICALLY) من حيث إنه لم يظهر أى نوع
حتى «راق» بعد ظهور الانسان منذ قرون طوال . فإن النوع الانساني
لا يزال غير متطور منذ بدايته إلى يومنا هذا ، ولم تبد علامته حتى
الآن . وهناك سؤال هام يبرز في الأذهان : فهل توقف هذا
القانون - المزعوم - على الانسان فلم يتجاوزه ؟ فما هو الدليل العقلي
على صحة هذه النظرية الخاطئة ؟ وعلى كل ، فإنه تتحقق هناك
الوجهة القرآنية بأن الانسان خليفة ، أى آخر المخلوقات على وجه
الأرض . ولقد تواترت الأحاديث النبوية على أن القيامة سوف تقوم
على الانسان الموجود ، أى النوع الأخير الموجود الآن .

معنى الخلافة الاصطلاحي :

استعرضنا كلمة الخلافة ومعناها اللغوى . فأما معناها
الاصطلاحي فهو أن الانسان خلق مسؤولاً ومكلفاً لأداء واجبات
الدين .. كما يتبين ذلك بقوله تعالى :

﴿ثم جعلناكم فئات في الأرض من بعدهم لننظر كيف
تعملون﴾^(٢)

(١) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري . ٦١/٢٤ . والدر المنثور في التفسير المأثور
للمسيوطي . ٣٦١/٥ .

(٢) سورة يونس الآية ١٤ .

فمن مثل هذه الآيات تتبين الغاية المقصودة بالخلافة في الأرض أن الانسان نوع مسؤول ، فما بعث الا ليلوه ربّه في ساحة العمل . وسيلقى مصيره المحتوم السيء إذا عصاه وخالف أمره ، كما لقيت الأمم الماضية مصيرها من قبل .

فالانسان من هذه الوجهة سيّد هذا العالم وحاكم على جميع مخلوقات الدنيا . فعليه أن يعامل كل مخلوق ما يناسبه ويوافقه ويبدى له عواطف الودّ والرحمة ، لأنه ممثّل من ربّ العالمين الذى هو الرحمن الرحيم ، الشفوق على سائر المخلوقات والعوالم . ولذلك أعطاه الله تعالى علم جميع الأسماء وخصائصها ، لكي يكون على خبرة ومعرفة عن كل هذه الموجودات والكينونات فالخلافة في الأرض إذاً لها أهمية قصوى ومسؤولية ثقيلة ، كما يظهر بقوله تعالى :

﴿يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (١) .

وخلاصة هذا البحث أن الانسان خلق بأمر خصوصى وتدبير الهى كامل ، فليس هو حادث بالصدفة والاتفاق ، ولا هو وليد الارتقاء المزعوم المُخطىء . وبالتالي فليس هو حرّاً مطلقاً في أفعاله وأعماله يفعل ما يشاء . فقوله تعالى : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يبدى لنا بكل وضوح أن هناك خطة الهية وتقدير ربانى في الخلق والأمر . كما أظهر سبحانه وتعالى قضاءه المبرم وعزمه المحكم .

(١) سورة ص الآية ٢٦ .

وهذا هو التصميم الالهي الذي بيّن في مواضع أخرى في خلق جميع
الموجودات الكونية بقوله :

﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾^(١) .

﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾^(٢) .

﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾^(٣) .

فليس الإنسان ولا أي شيء من الموجودات الكونية نتيجة
صدقة واتفاق . وهذا التصور الخاطئ يخالف التصور الاسلامي
بكل معناه وأطرافه .

(١) سورة الفرقان الآية ٢ .

(٢) سورة القمر الآية ٤٩ .

(٣) سورة الرعد الآية ٨ .

أهمية الانسان في هذا الكون

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ ، هذه الآية تشير أيضاً إلى دليل ناصح بأن الله تعالى قد جعل لغة ولسانا لتعليم هذه الأسماء . لأن اللغة إنما هي الوساطة لابتداء الخواطر وتفهم الأفكار بين شخصين . وبناءً على ذلك فإن الله سبحانه هو أول من وضع اللغة والمعجم . فليس من وسع الانسان أن يأتي بلسان بظهوره على الفور ، ولا يستطيع أن يتعلمه بدون معونة خارجية . بل إنما هي موهبة من الله تعالى عز وجل .

ومن ثم يتضح أن الله سبحانه لم يترك الانسان بعد ما خلقه وحيداً في ساحة الحياة ، يتيه ويتحير ويضطرب . بل انه أرشده وحفظه في كل مرحلة من مراحل الحياة ، مثل الوالد الشفوق الذي يمسك ولده ويرشده في الشؤون المختلفة . فلم تنقطع علاقة الرب بالانسان في أية لحظة من لحظاته . بل كان الخالق هو المعلم الأول الذي علّم الانسان جميع ما يحتاجه من أمور الدين والدنيا ، لكي يفوز الانسان في مجال الخلافة ويؤدي مسؤولياته التي ألقى ربه على عاتقه .

وهذه البيّنات تنفي جميع تحيّلات الفلاسفة والدهريين الذين يزعمون بأن الانسان حرّ طليق في هذا العالم نقيّاً بيّناً ، وأن ليس

هناك قوة كونية مرشدة وراء المظاهر المادية ، وأن فعلية الخالق إنما هي الخلق والتكوين فحسب ، وليس له حق الارشاد والتوجيه ، وأن هذا الكون يسير تحت تأثير أعمى وقدرة عمياء من غير موجد ومدبر ، وأن الكون يجري مثل ما كينة بنفسها . وقد ردّ الله تعالى هذه الأقاويل الباطلة وعلّق عليها في أسلوب فريد حيث يقول :

﴿وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون﴾^(١)

قد تحقق من هذه التوجيهات أن الله تعالى قد خلق هذا الكون لهدف عظيم ، وزيّنه بجميع مرافق الحياة وحوادثها . ثم أرشد الانسان في شؤنه المختلفة رحمة له وعطفاً عليه ، لم يتركه وحيداً حيران قط . بل إنه قد اصطفى عبداً مكرمين لهداية البشر من عهد آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء محمد ﷺ ، فأنزل كتبه تبيناً لرسالته وارشاداً للبشر . فالقرآن الكريم هو كلام رائع ونموذج مدهش لهذه الرسالة الخالدة الربانية . وهو المثل الأعلى والكلام الإلهي الخالد البديع الذي يتحير له عقل البشر . فلا يكون إلا من عند الله عز وجل .

ثم إن هذا القرآن هو خير نموذج لرحمة رب العالمين ورأفته على عباده ، كما أن هذا الكون مظهر من مظاهر عطفه . فالأول يظهر عطفه ورحمته على العباد من حيث المعنى ، بينما الآخر يبدى ذلك من الوجهة المادية . فكلاهما ضرورى ولازم . لأن أحدهما يزّن

(١) سورة الجاثية الآية ٢٤ .

حياتنا الدنيوية بينما الآخر يحسّن حياتنا الشرعية والأخلاقية والاجتماعية ويؤدى إلى النجاة الأخروية .

وهاتان علاقتان أساسيتان لارتباط الانسان بخالقه وربه .
فالعلاقة الأولى طبيعية (NATURAL) والثانية شرعية (MORAL)
والتوازن بينهما أو عدم الانحراف من جانب هو المطلوب . والترباط
بين علاقتهما هو صنيع الاسلام . فإن الاسلام قد أوضح الروابط
الصحيحة بينهما وأعطى الانسان التصور الجامع المتوازن الذى
يصلح الحياة البشرية ، وليس فيه أى نقص ولا عيب . وقد قال
تعالى :

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾^(١)

(١) سورة الرحمن الآية ٩ .

علم الأسماء يكشف النظام الإلهي

إن دراسة علم الأسماء وبحته في الواقع محاولة جادة لفهم النظام الإلهي الذي يتمشى في هذا الكون بين المظاهر المادية المتعددة وأنظمتها المتنوعة المتحيرة التي تتعلق بربوبية الله تعالى . ومن هذا الاعتبار لا بد «للخليفة» أن يغوص في معاني علم الأسماء ونظام الربوبية ، ليكشف الأسرار بينها ويزيل ستار الشبهات التي يوردها المنكرون بوجود الله تعالى .

ومن أجل ذلك أكد القرآن مراراً على التفكير في أنظمة الكائنات والوصول بذلك إلى النتائج الصحيحة السديدة . وذمّ الذين يختارون الاتجاهات المنعطفة فيعرضون عن الطريق . كما يقول الله تبارك وتعالى :

﴿أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وإن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون﴾^(١)

وقال تعالى : ﴿وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم معرضون﴾^(٢)

(١) سورة الأعراف الآية ١٨٥ .

(٢) سورة يوسف الآية ١٠٥ .

والحق أن السموات والأرض لتحتويان على نظمات رقيقة مليئة بالأدلة العلمية القطعية اللا محدودة على وجود الخالق والرب تعالى . فمن المستحيل الاعراض عنها واغراض العيون منها الا من هو مكفوف البصر . فآثار الفطرة وعلاماتها هي الآيات الدالة على خالقها ، وهذه الآيات تنطق بلسانها العجيب المرموز عن وجود مدبر ومنظم يحيط بجميع الأشياء والكينونات .

وهذا البحث والدراسة هو الاستعراض لتدوين الأدلة العلمية الكونية ، التي نستطيع أن نعبر «بالأدلة الآفاقية والأنفسية» بمقتضى لسان القرآن الكريم ، تمام الحجة على اللاحدين والماديين الذين يحاولون أن يصدوا السبيل بشتى توجيهات خاطئة خاسرة تجاه نظمات المظاهر الكونية . ولذلك حرص القرآن الكريم على التفكير فى النظمات الكونية ومحتوياتها بأساليب متنوعة . فقد قال الله تبارك وتعالى :

﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار
لآيات لاولى الألباب﴾^(١)

﴿إن فى السموات والأرض آيات للمؤمنين . وفى خلقكم وما
يبث من دابة آيات لقوم يوقنون﴾^(٢)

﴿وفى الأرض آيات للموقنين . وفى انفسكم أفلا
تبصرون﴾^(٣)

﴿أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف

(١) سورة آل عمران الآية ١٩٠ . (٢) سورة الجاثية الآية ٣ - ٤ .

(٣) سورة النازيات الآية ٢٠ - ٢١ .

رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت .
فذكر إنما أنت مذكر ﴿١﴾ .

فالذين لا يستخدمون عقولهم في هذا التفكير والتأمل في آيات
الكون ويعرضون عن الأدلة العلمية المستتجة الدالة على وجود
الرب والاله بطريق النتائج المنطقي الصحيح ، فهم الأنعام والبهائم في
خلق الله تعالى كما يقول :

﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا
يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها
أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ (٢)

وكانت الحكمة الالهية تقتضى في تعليم آدم الأسماء ، أن ينتشر
هذا العلم في أولاده وأن تُدعم النوادي والمجالس العلمية بالدليل
والاستدلال ، فنصبح أسواق الحججة والبرهان قوية ظاهرة . ولكن
حدث سوء الفهم في بعض الأوساط العلمية في العصر الراهن من
أن العلوم الكونية أى العلم الحديث (SCIENCE) يرادف المادية
والمذهب الطبيعي . والحق أنه ليس في العلوم الحديثة في طبيعتها
الأصلية شئ منها أو شائبتها ، بل هذا العلم أصبح اليوم أداة كبيرة
فعالة في تصديق القرآن ومحتوياته . وإنما الخطأ في الأفكار المعوجة
المنحرفة لبعض العلماء الماديين ، لا في طبيعة هذه العلوم بنفسها .
فعلينا أن نتصدى لهذه الأفكار الباطلة ونبطل ماكان من النظريات
الخاطئة . ولكن يجب علينا التسلح بهذه العلوم والنظريات لردّها

(١) سورة الغاشية الآية ١٧ - ٢١ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٧٩ .

وابطالها بأحسن طريق . وعلى كل فإن العلم الحديث فى الواقع عبارة عن دراسة حرّة وتفكير حرّ فى آثار الكون ومظاهره . فمنهاجه استعراض أسرار الكون وضبط قوانينه والاستنتاج العلمى بطريق الاستقراء (INDUCTION) . وهذا هو المنهج القرآنى الذى يرشد الناس إليه بأساليب متنوعة متكررة ، ويخصّصهم على الأخذ به . فمن هذه الوجهة جميع العلوم الحديثة تلائم منهج القرآن الكريم ونظامه المرسوم . وبالتالي فإن النبوغ فى العلوم الكونية حاجة الساعة ، والاشتغال فى البحوث العلمية على هذا الموضوع ضرورة علمية ودينية . فلا يمكن التوجيه العلمى بدونه فى مجال الفكر والنظر ، ولن يُمهّد لنا سبيل النهضة الاسلامية بدونه أبداً .

هناك هدفان أساسيان لاستعراض الأدلة القرآنية على مستوى المنهج الحديث ، وهما من معالم القرآن لتدوين الأدلة الآفاقية والأنفسية - كما يسمّيه القرآن بمصطلح خاص . أولهما : الازدياد الموفور فى ايمان المؤمنين وتحريضهم على الصبر على دينهم مواجهة للغزو الفكرى الحديث . وثانيهما : ازالة شبهات الجاحدين بالله وإتمام الحجة عليهم كما يقول تعالى :

﴿حَمِّمَ﴾ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم . ان فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين . وفى خلقكم وما يبثّ من دابة آيات لقوم يوقنون . واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون . تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق . فبأى حديث بعد الله وآياته

يؤمنون ﴿١﴾

وقد قال تعالى : ﴿لِينذَرُ مِنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢﴾

علم الأسماء يمهد الطريق إلى معرفة الله تعالى :

الغرض المهم من دراسة علم الأسماء وبحثه هو الوصول إلى معرفة الله تعالى . فإن الإنسان يشاهد في دراسة الربوبية لمعات صفاته العجيبة من وحدته وقدرته وحكمته ونظمه وتدييره ما يتحير له العقل الانساني من هذه الاشراقات الربانية . فإذا بلغ الانسان هذا المبلغ وشاهد من الأنوار الالهية فلا مجال له أن يتيه في ساحات الأفكار الخاطئة والنظريات المنحرفة والتصورات الباطلة . فإن الله تعالى يقول :

﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٣﴾

هذه الآيات إنما هي نتيجة النتائج من دراسة العلوم الكونية وخلاصة العلم الحديث المنتوجة . فكل من يبحث هذه المظاهر المادية وعلومها ومعارفها بدون تحيز وتعصب لعقيدة ما ، فإنه سيتبهي إلى هذه النتيجة المنطقية حتماً مقضياً . فمن هذه الناحية

(١) سورة الجاثية الآية ١ - ٦ .

(٢) سورة يس الآية ٧ .

(٣) سورة الحشر الآية ٢٢ - ٢٤ .

ليست هذه الآيات سهلة ، بل هي عَصارة القرآن العظيم يتلأأ فيها نور القرآن نظراً إلى معارف العلوم الحديثة . ولذلك لها فضيلة وأهمية كبرى فالحديث النبوي الشريف يحضّ كل مسلم على قراءة هذه الآيات الثلاث في كل صباح ^(١) . وكأن هذا تحريض على التأمل لما فيها من المعاني والحقائق .

ومن هذا المنظور : فمن ينتهي إلى هذه الدرجة فكأنه بلغ إلى هذا الكون ومعرفة الرب تعالى . وهذا هو المفتاح الرئيسى الذى يفتح به جميع الأبواب الكونية المغلقة . وهذا هو المقصود من دراسة العلوم الكونية من الوجهة الاسلامية . كأن المقصود منها أن ينظر الانسان إلى أشياء الكون وموجوداته بنور الله تعالى وهدايته . كما قال سبحانه :

﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشَى بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مِثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ ^(٢)

إن الله يحيط بكل شيء علماً :

قد تبين بهذه التفاصيل أن الله عز وجل عليمٌ بجميع أشياء الكون وموجوداته من حيث إنه خالقها ومدبرها ، فيعلم سائر أدوات الكون وماكيناته . ولذلك علم آدم أسماء هذه الموجودات وصفاتها وخواصها في بداية الأمر . وإن لم يكن عالماً وخبيراً بهذه العوالم والموجودات وخصائصها لم يتسنّ له تعليمها لآدم . فهذه

(١) كما رواه الترمذى وأحمد . انظر مختصر تفسير ابن كثير : ٤٨٠/٣ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٢٢ .

هى الحقيقة الأبدية والسرّ الواقعى الذى جهل الفلاسفة فهمه
وعجزوا عن كشفه ، حيث يقولون : إِنَّ الله تعالى لا يعلم جزئيات
هذا الكون دون الكلّيات . والذى تولّى كبر هذه الدعوى فى تاريخ
الاسلام أولاً ، هو ابن سينا اتّباعاً للفلاسفة القدماء الذين سبقوا
قبله . فقد ردّ الله تعالى هذا التصور الخاطىء بقوله :

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(١)

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢)

﴿أَلَا أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾^(٣) .

(١) سورة الملك الآية ١٤ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٠١ .

(٣) سورة فصلت الآية ٥٤ .

قوانين الفطرة لا تقبل التطور

بأن من هذه الملاحظات أن الكائنات وما فيها من المظاهر المادية أنها تجرى بنظام محكم وترتيب منسجم وتأديب كامل ، وليس في نظاماتها أية تغير ولا في أصولها شائبة من التطور والانحراف . فهي الآن كما كانت في أول يومها . لقد كوّنوها خالقها وبارئها وأودع فيها صفاتها ومميزاتها التي لا تتغير ولا تتبدل . ولو كانت هذه الخواص والآثار قابلة للفوضى والانتشار لم يتسنّ تعليمها . فضبط القوانين المادية ونظمها - كما نجدها اليوم مرتبة ومنضبطة في دواوين العلم - تدل على قانون محكم البنيان . فقد أظهر الله تعالى هذا السرّ وكشف الستار بقوله :

﴿الله خالق كلّ شيء وهو على كلّ شيء وكيل﴾^(١)

﴿وخلق كلّ شيء فقدره تقديراً﴾^(٢)

﴿سبح اسم ربك الأعلى . الذي خلق فسوّى . والذي قدّر فهدى﴾^(٣)

أى خلق جميع المخلوقات وسوّى واصلح أنظمتها الجسمية ، وقدّر لها قوانين طبيعية وفطرية ، ثم أرشد كل مخلوق يسير طبقاً لما قدّر

(١) سورة الزمر الآية ٦٢ . (٢) سورة الفرقان الآية ٢ .

(٣) سورة الأعلى الآية ١ - ٣ .

له من القانون الطبيعي المرسوم والنظام المتبني له من بارئته سبحانه وتعالى ، فإن هذه أصول ربانية محكمة البنيان ، وكليات واسعة المدى ، التي تضم إليها سائر العوالم من الجاد والنبات والحيوان والفلك . فمن ذرة صغيرة (ATOM) إلى نظام شمسي كبير ، تجري هذه القاعدة الربانية طبقاً لهذه الكليات والمبادئ . ومن هذا المنظور لم يجعل الله هذه المخلوقات طلقاً ، ولم يلق الجبل على غاربها بعد ما خلقها وأوجدها من ستار العدم . بل انه ينظمها بنسق دقيق وتديير بالغ ونظام مدهش ، ليس فيه فوضى ولا انحراف .

﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوتٍ ، فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾^(١) .

التوافق بين الشريعة والفطرة :

ومن هنا يتفرع أصل آخر بأنه ليس هناك تخالف فيما بين الدين والفطرة (NATURE) أصلاً بل كل منهما ينسجم انسجاماً كاملاً ، لأن كلاهما صدر من مصدر واحد . فكما تكون أحدهما من صنعة خالق كذلك الآخر ظهر من تعليمه ووجيه وارشاده . فمن هذه الوجهة كل منهما يكون مساعداً للآخر ، ولا يكون محارباً ولا مصارعاً . وقد بين الله تعالى هذه الحقيقة الأبدية بقوله :

﴿خلق الله السموات والأرض بالحق ، إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾^(٢)

(١) سورة الملك الآية ٣ - ٤ . (٢) سورة العنكبوت الآية ٤ .

والانسجام بينها إنما يدل على أنها صادران من منهل واحد .
 فبينما تتجلى بأحدهما السجاياء الربوبية التكوينية الفوقية ، تتلأل
 بالآخر الصفات الأزلية والحقائق الأبدية . فمن هذه الناحية القرآن
 والكون كلاهما كمرآة للآخر ، تنعكس فيها صورته وتترأى رسومه
 وآثاره - قال الله تبارك وتعالى :

﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾^(١)
 ﴿الَّا يسجدوا لله الذي يُخرج الحَبَّ في السموات
 والأرض﴾^(٢)

﴿قُلْ أُنزِلَ الذي يعلم السِّرَّ في السموات والأرض﴾^(٣) .

﴿أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين﴾^(٤)

﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾^(٥)

نظام الأسباب والعلل :

إن احاطة المظاهر الكونية بنظمات متقنة وسلوكها في قوانين
 مضبوطة ، لتدلّ على أن الأشياء المادية تدعن وتخضع لقواعد
 وسنن ، وأن هناك تأثير مادي لكل شيء من هذه الأشياء . فكل
 منها يؤثر على غيره كما يتأثر به . والواقع أنه قد أودع فيها بارئها
 صفات وتأثيرات تولد صفات وتأثيرات أخرى إذا تقابلت
 وتعاملت . فهكذا تتواصل الأشياء والموجودات وتتسبّب بتولّد

(١) سورة النمل الآية ٧٥ .

(٢) سورة النمل الآية ٢٥ .

(٣) سورة الفرقان الآية ٦ .

(٤) سورة النعكبوت الآية ١٠ .

(٥) سورة الأنبياء الآية ٦ .

الأسباب والعلل . فالعلل والمسببات إنما هي تأثيرات هذه الأشياء وتأثيراتها .

ومن هذه الوجهة فالله تعالى هو الذى جعل هذا النظام البواسع لابتلاء البشر بحكمة بالغة ومصلحة تامة وبكمال الدقة ، لا يتصور الانسان فوقه . وكتاب الله الكريم يُقرّر هذه الحقيقة العظمى بكلمته الخالدة ، كما يقول :

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾^(١)
إن هذه الآية الكريمة لتدل على أن ماء المطر هو السبب المادى لانبثاق مختلف النباتات ، كما هو مذكور فى مواضع أخرى . فقد صرح فى موضع آخر بأن وجود ألوان مختلفة ومتنوعة فى الثمار إنما هو بالماء والمطر :

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾^(٢)

وكذلك يتجلى لنا من خلال المنصوصات القاطعة بأن الطعم الذى فى هذه الثمرات وحلاوتها كذلك تختلف وتتفاوت . ثم منها تتكون الأدلة العلمية للعلماء والباحثين إذا تأملوا وتدبروا فيها ، كما يقول سبحانه وتعالى :

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٍ وَجَنَاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ صُنَّوَانٍ وَغَيْرِ صُنَّوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنَفْضِلَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٣)

(١) سورة طه الآية ٥٣ . (٢) سورة فاطر الآية ٢٧ .

(٣) سورة الرعد الآية ٤ .

ففي هذه الآيات كلها الباء هي «الباء السببية» ، كما صرح بذلك شيخ الاسلام ابن تيمية ^(١) . انه يقول : «والعلماء متفقون على اثبات حكمة الله في خلقه وأمره واثبات الأسباب والقوى . وليس من السلف من أنكر كون حركات الكواكب قد تكون تمام أسباب الحوادث ، كما أن الله جعل هبوب الرياح ونور الشمس والقمر من أسباب الحوادث» . ^(٢)

ثم ذكر بعض الأحاديث النبوية التي تدل على اثبات الأسباب المادية . فمنها ما رواه : «أن النبي ﷺ نظر إلى القمر وقال لعائشة تعوذى بالله من شرّ هذا ، فان هذا هو الغاسق إذا وقب» . ^(٣) والاستعاذة إنما تكون بما يحدث عنه شر» ^(٤)

ونتيجة هذا البحث أن الأشياء المادية تؤثر وتتأثر ، وأن هناك تأثيرات نوعية وفردية ، وهي من نتائج صفات خاصة يملكها كل نوع من الأنواع فيولد صفات أخرى متفاوتة ، إذا تلاقى الشيئان فتعاملا وتفاعلا . مثل الماء واللبن إذا التقيا زال كيان الماء ، لأن اللبن يغلبه . ثم إذا أُلقي فيهما السكر جعل كليهما حلواً يزيل فطرتهما التي كانا عليها . فهكذا جميع الخواص المميزة تعمل أعمالها وتُبدل صفات غيرها في مجال الطبيعة . وبناء على ذلك فان رفض هذا العلم برمته إنما هو انكار للنصوص القرآنية .

(١) انظر كتاب الرد على المنطقيين . ص ٢٧٠ . طبعة لاهور . ١٣٩٦ هـ .

(٢) المرجع السابق . ص ٢٧٠ .

(٣) قال الخازن : المراد به القمر إذا خسف واسود . ومعنى وقب دخل في الخسوف .

(٤) كتاب الرد على المنطقيين . لابن تيمية . ص ٢٧١ .

ثم إن هذا العلم يساعدنا اليوم في استنباط الأدلة العلمية الكونية مواجهةً للغزو الفكري المادى الحديث بأحسن طراز . لأن هذا العلم يفيد الاستنباط للأدلة العلمية على وجود الخالق الرب الذى أنشأ هذه الكيّنونات والمظاهر بخواصها المختلفة ومميزاتها المتنوعة . فان اختلاف هذه المظاهر والكيّنونات ليقضى خالقاً ورباً ومدبراً يملك قوةً خارقة العادة وفوق الطبيعة . لأن هذه التنوعات إنما هى المعجزة الربانية ، ولا تكون الا من له قوة فوق الطبيعة العادية . وانها لمن الأسرار الالهية التى لم يصل الانسان إلى كنهها على رغم رقيه ونُبوغه فى العلوم . كما سيأتى تفصيلها .

خصائص الأشياء :

ماهى خاصة الشيء أوصفته المميّزة؟ والجواب أن النار تحرق ، والماء يُطفئ النار ، ويسكن الظمأ ، كما أنه يُساعد فى جهاز الهضم ، وينبت نباتاً مختلفاً . والماء جزء رئيسى فى سائر الأشياء الحيّة ، كما اكتشفه علم الكيمياء بأن الماء هو جزء البروتوبلازم (PROTOPLASM) . ويتركب الماء من عنصرين الأكسجين والهيدروجين . والسّم يقتل كل من يأكله . والسكر يُحلّى القم ، والملح يجعله مرّاً . والملح يتكون من الصوديوم (SODIUM) والكلورود (CHLORIDE) عنصرين أساسيين . والليمون فيه فوائد طبية . وكذلك فى كل من البقول والثمار والفواكه منافع خاصة تختلف عن غيره . وبالتنفس نحن نتشق الأوكسجين (OXYGEN) ونلفظ ثانى أوكسيد الكربون

(CARBON DI OXIDE). والنبات يتغذى بثاني أكسيد الكربون ويلفظ الأوكسجين خلافاً للحيوانات . وهذا كله من النظامات الربانية العجيبة المدهشة التي لا يستطيع الانسان أن يفهمها فهماً صحيحاً .

وكذلك الأغذية والبقول والثمار التي نأكلها . تحتوى على المواد اللحمية (PROTEINS) ومواد النشا (CARBOHYDRATES) والمواد الشحمية (FATS) والمالحات المعدنية (MINERAL SALTS) والفيتامينات (VITAMINS) . هذه هي أجزاء أساسية لكل غذاء يتناوله انسان وحيوان . وهى تلعب دوراً مهماً فى الأجسام الحيوانية نمواً وصحةً . والانسان لا يكاد يعيش ولا يحيى بدون النبات وأعماله .

وكذلك تضىء الكهرباء بيوتاتنا . والكهرباء قوة هامة كشفت فى العصر الحاضر . وهى جريان الالكترونات (ELECTRONS) فى خط مستقيم . فإن جريانها بسرعة عظيمة ينشئ الضغط ، فتتولد منه القوة والحرارة . وإذا سخن شئ يخرج منه الحرارة والبخار كذلك . وهذه الحرارة تقيّد وتستخدم لشئون هامة ، فتتحرك منها الماكينات وتجرى القطارات والسيارات وغيرها . فالكهرباء والحرارة يتمان كثيراً من حاجاتنا المدنية .

وكذلك توجد فى الذرة (ATOMS) قوة عظيمة ، تسمى الطاقة الذرية (ATOMIC ENERGY) وهى اليوم منبع كبير لتحصيل الكهرباء فى الأمم الراقية ، وتستخدم فى تسيير البواخر والغواصات والصاروخات ونحوها . ومن الطاقة الذرية تكوّن القنبلة الذرية

الهائلة التي تقشعر منها الجلود ، نظراً إلى ما فيها من تدميرات وتهديدات .

وكذلك النور يقطع مسافة مائة ألف وستة وثمانين ألف ميل في ثانية واحدة . وقد تمكنت التكنولوجيا الحديثة من نشر الأصوات حول كرة الأرض بتيارات البرق المغناطيسي ، فنستطيع أن نسمع أنباء العالم بمذيعنا على الفور . وكذا نستطيع أن نتكلم بالتلفون الذي هو مصنوع على أساس القواعد الطبيعية للصوت (SOUND) من أقصى العالم إلى أقصاه . كما يتسنى لنا ارسال الخطابات إلى أى بقاع العالم بواسطة ترانسميتر وتيليرنتر وتلكس ونحوها في أقل من ثانية واحدة .

هذه أسئلة عديدة من نواحي مختلفة تهباً لنا فكرة وخبرة في مجال العلم ، وتبدى لنا الحقائق عن عوالم العلل والتأثيرات التي تحيط بنا في جميع شؤون الحياة العادية والمدنية والاجتماعية . فلا نصرف عنها النظر للحظة واحدة .

هكذا يبحث العلم الحديث والطب الحديث عن جميع الأشياء والموجودات باعتبارات مختلفة ووجهات شتى . فمعرفة خواص هذه الأشياء وتأثيراتها ثم الانتفاع والاستخدام بها عملياً هو «التسخير» في مصطلح القرآن الكريم . وبهذا التسخير يتمتع الانسان بنعم الله تعالى ، كما ذكر ذلك سبحانه بقوله :

﴿الم ترؤا ان الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾^(١)

(١) سورة لقمان الآية ٢٠ .

﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾^(١) .

فالتسخير أو استخدام الأشياء المادية هو الذي يسمى بالتكنولوجيا في العصر الراهن . ولاتمام هذا الهدف لابد لنا من دراسة التكنولوجيا والنبوغ فيها حسب مقتضيات العصر لاسترداد مجدنا واسترجاع مفقودنا .

(١) سورة الجاثية الآية ١٣ .

الخطوة الأساسية للنهضة الاسلامية

إن هذه العلوم المادية والتكنولوجيا لها أهمية كبرى في مجال النهضة الاسلامية . لأن هذه العوامل والتأثيرات قد احاطت جميع أمم العالم ومنطلقاته بتقدم العلم والتكنولوجيا . فقد أصبحت اليوم هذه العلوم والفنون ذات أهمية بالغة في المجال المدني والحضارى كما أصبحت في المجال العسكرى والسياسى . فن تسلّط عليها وتسلّح بها فقد سيطر على سائر الأمم والشعوب يخوّفهم ويهددهم بقواته المسخّرة وطاقاته المستخدمة التى نالها من تأثيرات هذه الأشياء المادية كما نشاهد ذلك في هذا القانون الطبيعى الذى عيّن الله تعالى للعالم البشرى .

فن هذا المنظور لا بد للنهضة الاسلامية النبوغ وكمال الخبرة في العلم والتكنولوجيا . وهذا مطلوب من الوجهة الشرعية أيضاً ، كما بحثنا عن ذلك في موضع آخر . والحق أن هذا العالم كله محيط بالأسباب والعلل المادية ، كما رأيناه من قبل . فلا يجوز لنا أن نغمض العيون عن هذه الدوافع والباعثات . وهذه النهضة لا تتحقق أبداً على دعائم الأمانى والأحلام ، دون السعى والجهد المثبت . ولا بد لذلك العمل العظيم من التبديل الجذرى في مناهج التفكير ، بأن يصبح المسلمون أصحاب الحقيقة والخبرة . فكل من

يهمل القانون الطبيعي (NATURAL LAW) الذى هو القانون الالهى
سوف يلتق مصيره ويصبح فى ذمة التاريخ .

يقول الامام ابن القيم الجوزية فى كلامه عن ربط المسببات
بالأسباب بعد أن ذكر بعض الأحاديث النبوية فى الأمر بالتداوى :

«وفى هذه الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوى ، وأنه لا ينافى
التوكل ، كما لا ينافيه دفع داع الجوع والعطش والحر والبرد
بأضدادها . بل لا يتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التى
نصبها الله مقتضيات معطلها أن تركها لمسببات قدراً وشرعاً ، وأن
تعطيلها يقدر فى نفس التوكل كما يقدر فى الأمر والحكمة ، ويضعفه
من حيث يظن أقوى فى التوكل . فإن تركها عجزاً ينافى التوكل الذى
حقيقته اعتماد القلب على الله فى حصول ما ينفع العبد فى دينه ودنياه
ودفع ما يضره فى دينه ودنياه . ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة
الأسباب ، والا كان معطلاً للحكمة والشرع . فلا يجعل العبد عجزه
توكلاً ، ولا توكله عجزاً» .^(١)

هذا بيان شامل بجميع الحكم والبصائر ، ويشرح لنا حقيقة
الدين . وهذه المبادئ والأصول التى وردت فى هذا البيان لا
تختص بمجال الطب والصحة فحسب ، بل انها تعم جميع نواحي
الحياة وجهاتها . لأن الله تعالى خلق هذه الكائنات بحيث يكون كل
جزء من أجزائها مربوطاً بآخره ، فلا يستغنى أبداً بعضه عن بعض .
وإنما الغناء لله الواحد القهار الذى هو الغنى وحده عن العالمين ، ولا

(١) راد المعاد فى هدى خير العباد . لابن القيم الجوزية . ٦٧/٣ من توزيع دار الافتاء
بإريافس .

يستغنى أحدٌ سواه .

الأسماء فقط ، ليست الحقائق :

ولا يتم هذا البحث عن الأسماء ومتعلقاتها حتى نستعرض اتجاهاتها السلبية مع اتجاهاتها الإيجابية . وكلتا الوجهتين لا بد منها في مجال الفكر والفلسفة لتنوير عقولنا وتركيز أذهاننا . ويتضح بهذا البحث حقيقة «علم الأسماء» أو قل كيفية «علم آدم» ونمطه ومنواله ، كما تتجلى لنا معجزة جديدة من القرآن الكريم واعجازه العلمي العجيب المدهش الذي لم يشاهده النوع البشرى قط من قبل ، ويحيل إلينا بذلك أن دعاوى القرآن العظيم - التي ادّعاها قبل أربعة عشر قرناً - لاتزال محكمة البنيان ، وثيقة العرى ، من غير نسخ ولا تبديل . ويتضح بهذه البحوث ناحيات جديدة من الحكم والبصائر الناصعة التي يتبين من خلالها مناج القرآن المدهش من القرآن وبطولته العجيبة الكاشفة عن الحجب والستائر الكثيرة ، العارضة علينا حقائق غارية . ولكن كل ذلك ينكشف وينجلي لنا بفحص واستعراض دقيق في المعارف القرآنية والعلوم الحديثة ، وبالولوج والتغلغل في أسرارهما ، ثم المقابلة والمقارنة بين حقائقهما التي تثبت بالفحص والتفقه والدراسة العميقة .

فالإنسان المعاصر مع تقدمه في شتى مجالات العلم ووقوفه على خصائص الأشياء وتأثيراتها من ناحيات كثيرة بكل دقة ، ورغم اطلاعه الواسع على أجزاء المادة وذراتها وعناصرها وفاعلياتها ، لم يستطع حتى الآن أن يدرك الحقائق الأصلية لهذه الأشياء وكيفياتها

ولم يستطع أن ينتهى إلى كنه أسرارها الباطنة ويكشف عواملها السرية المستورة بل لا يزال علمه وادراكه موقوف على معرفة ظواهر الأشياء وفاعلياتها الظاهرة فقط . فلن يفوز الانسان أبداً في هذا المجال وان يرتقى على سلم التقدم إلى أعلاه ، كما تثبت هذه الحقيقة بدراسة العلوم الحديثة .

هذه هى الحقيقة العظيمة التى قد كشفها القرآن منذ قرون متطاولة . كما يتجلى الأمر من نفس الآية المبحوث فيها ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ أى علم الأسماء فقط دون الحقائق والأسرار ، فإن الانسان من هذه الوجهة إنما يعرف «أسماء الأشياء» فحسب ، ولا يعلم كيفياتها الباطنة . وفاعلياتها الأصلية ، فهى إذا مجهولة الإدراك ومسدودة الباب . فإن الانسان المعاصر - كما ذكر الأستاذ السيد سليمان الندوى - علمه قائم نفس مقام يومه الأول (لا يتحرك ولا يتقدم) .^(١) فإن هذه مطابقة تامة فى منصوصات القرآن الكريم والعلم الحديث بكل معناه . كأن الانسان وعلموه تصدق الكلام الربانى بكل عجز وتواضع فى كل عصر وزمن .

وعلى كل ، فالأسماء التى عرفها الانسان فى أول يومه هى باقية على سيرتها الأولى - سواء تتعلق بالمسميات أو بالآثار والخواص - ولم يتمكن الانسان الجديد على أية زيادة فيها على رغم تقدمه من جهات كثيرة ، وهو اليوم يدقق الأشياء تدقيقاً ويفحصها فحصاً تاماً لا يمكن التصور فوقه ، فيكشف عن أجزاء جديدة ، وذرات

(١) انظر كتاب « السيرة النبوية » فى الأردية . ٤٩٠/٤ .

حديثه ، وصفات متنوعة ، ونعوتٍ وعللٍ كثيرة ، ينتفع بظواهر هذه الفاعليات وسماتها ، ولكنه لا يدرك بواطنها ، ولا يستطيع أن ينتهى إلى كنهها ، كأنه أعمى من هذه الجهة .

هذه هى أكبر الحقائق التى ظهرت وثبتت من استعراض العلوم الحديثة وفحصها ، وليس فيها أى نزاع ، كما يتحقق الأمر بنفس اعترافات علماء هذه الفنون ، كما سنلاحظها فى الصفحات الآتية . إن الانسان المعاصر - من هذه الناحية - قد كشف الغطاء عن

جوانب كثيرة متنوعة من العلوم الطبيعية (PHYSICAL SCIENCES) والعلوم الاحيائية

(BIOLOGICAL SCIENCES) واطلع على ما فيها من مادات

متنوعة ، ومواد كيميائية متركبة ، ووظائف متنوعة ، وصفات متحركة ، ونكات دقيقة . وعرف علم الخلايا (CYTOLOGY) وما فيه من نظمات متناسقة متراكمة ، وتوصل إلى علم الكيمياء الحيوية (BIO-CHEMISTRY) وما فيه من المركبات والعمليات الكيميائية والتعليقات البيولوجية الظاهرية فى الكائنات الحية .

وانتهى إلى علم الحيوية الميكروبية (CHEMICAL MICROBIOLOGY) وما فيه من دقائق وعجائب

حيوية ونشاطات مذهشة . ولكنه على رغم هذه المعرفة البالغة والدراسة العميقة واحاطة المعلومات الشاملة ، لم يفز فى كشف السر الأساسى أنه كيف تتحرك وتتركب الذرات الكيميائية ، وكيف تنشأ التحولات المختلفة فى هذه الذرات ، وما هى عواملها وبواعثها ؟ ثم كيف يتحرك جهاز الخلايا (CELLS) الداخلى

المتراكم المتعقد في الأجسام النامية والكائنات الحية ؟ وأى تغيرات رئيسية تقع هناك في بروتوبلازما^(١) وكيف يتكون ؟ ثم كيف يسوغ التعامل والتعاطي بين مئات قسم مختلف من الخلايا ؟ وكيف يبتدىء هذا العمل المدهش ؟ وكيف يجرى نظام التبادل بين الخلايا على الدوام بدون أى فساد واختلال وكيف تتركب المواد الكيميائية بتكوين جهاز الخلايا المتعقد ؟ وكيف يتألف شتى تغيرات هذه المواد بنظام واحد بانسجام وتدريب ؟ وكيف توجد ألفة كيميائية بين الذرات والعناصر على اختلاف طبائعها وصفاتها ؟ وكيف تتحد التفاعلات الكيميائية المتفاوتة لغرض واحد وغاية واحدة ؟ ثم كيف يظهر عملية الجينات (GENES) والكروموسومات (CHROMOSOMES)^(٢) بنظام بدیع معجز ؟ وكيف تنتقل الصفات الجينية أو الوراثية من الجيل السالف إلى الجيل المتأخر بهذا التفاعل العجيب بكل ضبط ونظام ؟ ثم ان الأجسام الحية كلها تتكون من مادة البروتين (PROTEIN) وهى مادة أساسية في البروتوبلازما . ولكن العقل الانسانى عاجز في فهم تركيب صيغة جزئية (MOLECULAR FORMULA) من بروتين وجهازه التركيبى المدهش . ونحن نقدم هنا بعض الاقتباسات على سبيل الاستشهاد على ما ادعيناہ سلفاً . يقول عالم نباتى ومؤلف شهير :

«عرفنا أن البروتوبلازما مادة حية في نفسها . وهى مركبة من

(١) المادة الحية الأساسية في الخلايا النباتية والحيوانية .

(٢) الجينة () واحدة من الكروموزوم وهى جسيمات من الحيط المصغى الذى يظهر في الخلية () أثناء انقسام تلك النواة .

البروتينات المتعددة الكثيرة . ومن أجل ذلك تتحول البروتينات الغذائية - التي تدخل في الجسم من الخارج - إلى البروتوبلازما المُشَبَّك وبتعبير آخر يدخل «الغذاء الميت» في «الكائن الحي» ، وهو البروتوبلازما . وهذا هدف أساسي في نظام التغذية . ولكن لا نعرف كيف تحدث هذه العملية السرية . بل إنما نعرف أن في نفس البروتوبلازما توجد هذه القوة» .^(١)

يقول باحث أمريكي كريك (F.H.C. CRICK) : «ليس جهلنا العميق أن هناك ماذا يحدث من التفاعلات في داخل الخلايا ، بل إنما هو ماذا يحدث بين الخلايا . وعلمنا بهذا الصدد قليل زهيد . لأن علمنا الموجود في شرح مشاهداتنا غير كاف على الإطلاق» .^(٢)

ويقول المؤلف الشهير الدكتور الكس كارييل في كتابه الذائع صيته بالآفاق : «والحقيقة الواقعية أن جهلنا عميق . ان الذين يدرسون الأشخاص البشرية ، يتعرض لهم كثير من القضايا التي ليس لها جواب . ان الأصقاع الواسعة في عالمنا الداخلي مجهولة حتى الآن . كيف تتألف أجزاء المواد الكيميائية لتكوين تركيبات عضوية الخلية المؤقتة المعقدة ؟ والجينات التي تتركب في نوات (NUCLEUS) ببيضة (OVUM) ؟ وكيف تنظم الخلايا بنفس مجهوداتها في تركيب النسيج والأعضاء النامية ككتلات

Botany, by A.C. Dutta, P 361, Oxford University Press, (١)
Calcutta, 1979.

The Encyclopaedia of Ignorance, P. 302, Oxford, 1973. (٢)

وجامعات ؟ والمسائل والاستفهامات التي إليها رغبة شديدة في هذا الصدد كثيرة جداً من غير اجابة لها . وبهذا يتبين لنا أن النبوغ في جميع العلوم التي تتعلق بالانسان غير كاف ، وأن العلم الذي يتعلق بوجودنا هو في مقام بدائي . (١)

ويقول عالم احيائي SIR VINCENT B. WIGGLESWORTH «القول بأن الجهاز الجسماني يقاد بالجينيات ، يشكل لنا في شرحه من الوجهة العلمية من أن يقال أنه يقاد بالله تعالى» . (٢)

ويقول الباحث الأمريكي اسحاق اسيمو ISAAC ASIMOV «إن قضية تركيب الأحماض الأمينية (AMINO ACIDS) في أجزاء البروتين قد ألقت دنيا العلم في ورطة الحيرة والاستعجاب» . (٣)

والعلم الحديث كذلك لم يستطع إلى الآن أن يكشف نوعية العلاقة بين المادة والحياة . والحق أنه إذا لم يتمكن البشر على معرفة صحيحة بذرات المادة وحركاتها وفاعليتها الأصلية ، فكيف يسوغ له أن يكون على خبرة تامة بمظاهر الحياة وأن يدرك كنه الأحاسيس والمدركات والمشاعر والتعقلات البشرية ؟ فلذلك نراه يقف أمام هذه المظاهر والقضايا حائراً متخبطاً . والعلماء الأحيائيون يتدعون قضاياهم باعتراف عدم معرفتهم في صدد الحياة بهذه النكته :

«الحياة بنفسها حافلة بالأسرار ، وكذلك حقيقة مادتها لا تزال

Man The Unknown, PP. 17-19, Bombay, 1959. (١)

The Encyclopaedia of Ignorance, P. 252. (٢)

Asimov's Guide to Science, Vol.2, P 80. (٣)

مستورة» . (١)

والقضية المهمة الأساسية في العلوم الأحيائية هي أنها ما هي الحياة وكيف نشأت مادة الحياة ، يعنى البروتوبلازما ؟ ولكن لا يقدر عالم طبيعي أو أحيائي على إجابتها ، ولا يتفوه بقول عنها ، لأنه يكون إذاً قولاً بلا علم وتفوهاً من غير خبرة ومعرفة . لأن هذه القضية لا تتعلق بالطبيعة فحسب» ، بل إنما هي ترجع إلى ما وراء الطبيعة .

ويعترف الدكتور كاريل بهذه الحقيقة في كتابه «الإنسان ذلك المجهول» بقوله :

«إن هذه الكائنات مكوّنة بطاقات مجهولة محتفية وخلقت من مادة مجهولة بكل دقة فنية من الطبيعة والهيئة» . (٢)

والعلماء كلهم صامتون في هذا الصدد ويتوجهون إلى دراسة القضايا التي هي أدون منه ويغمضون عيونهم في هذا الباب . وقد ثبت بنظرية النشوء الأحيائي (BIOGENESIS) بأن الكائنات الحية لا تنشأ إلا من كائنات حية أخرى . ولكن بعض الناس يظنون أن العلم الحديث سوف يفتح هذا الباب المغلق ويكشف جميع الأسرار التي هي اليوم مستورة عن عيوننا . يقول استيون روز (STEVEN ROSE) في هذا الصدد :

«إن علم الكيمياء الحيوية علم جديد حتى الآن ، وأكثر الأشياء لم تعرف إلا «نصف المعرفة» ومن الخطأ فقد فرض أن الحاجة ماسة

Botany, by A.C. Dutta, P. IIX. (١)

Man The Unknown, PP. 28-29, Bombay, 1959. (٢)

للمعرفة الكاملة إلى انتظار الجيل الثانى أو الثالث»^(١).
 والموسوعة البريطانية تعترف بأن تحديد الحياة الأساسى العام بين
 علماء العلم أمر صعب ومسألة مُعضلة متعذرة ، على رغم المعلومات
 الكثيرة الحاصلة فى شتى العلوم الاحيائية مثل علم التشريح ، وعلم
 وظائف الأعضاء ، وعلم الكيمياء الحيوية ، وعلم التنبؤ (علم أثر البيئة
 فى الحيوان والنبات) ، وعلم ايثولوجيا (علم الأخلاق والأجناس
 وتكوينها) ، وعلم الأجنة وغيرها . فإنها تقول :

There is no generally accepted definition of life.

أى ليس هناك تعريف عام مُسلم للحياة (بين العلماء)^(٢).
 والعلماء الماديون يتحيرون فى تعريف الحياة وتحديد الشافى
 المتعين . بل يتأولون بتأويلات عجيبة ، لاعين بالفاظ وكلمات بعيدة
 المدى ، بعد اعتراف جهلهم عن أصل الحياة وحقيقتها . كما نرى
 أنموذج ذلك فى قاموس شهير لعلم الأحياء :

«الحياة تأليف مظهر حيوى ، وهى حالة خاصة متحركة للمادة
 المنظومة ، القاعدة الغامضة الخفية التى مترتبة بها المخلوقات
 المنظومة ، على الخصوص بقوات وضوابط ، ليست ترافق بالمادة
 الغير الناشئة»^(٣).

والحق كما قال اسحاق اسيمو أن العلم الجديد «SCIENCE»
 يتلجلج ويتردد فى تحديد الحياة ، ويعتذر فى شرحها ، لأن أصلها

The Chemistry of Life, by Steven Rose, P. 263, Pelican (١)
 Books, 1977.

Encyclopedia Britannica, 10/893, 1983. (٢)

Dorland's Illustrated Medical Dictionary, Twenty-fifth (٣)
 Edition, Printed in Japan, 1980.

مربوط بالعقيدة الدينية ، كما يقول :

This is a question that science has always hesitated to ask, because the origin of life has been bound up with religious beliefs even more strongly than has the origin of the earth and the universe. It is still dealt with only hesitantly and apologetically. (١)

أى أن هذا سؤال يتردد العلم الجديد دائماً فى طلبه ، لأن بداية الحياة مربوطة بالعقائد الدينية ، بأشد من بداية الأرض والكائنات . فإنما يهتم به إلى الآن بالتردد والاعتذار فحسب .

هذه معارف لتجاهلات العلم الانسانى فى مجال الكائنات الأحيائية . وكذلك الحال . فى مجال العالم الطبيعى الذى يشتمل على المواد غير الحية . ولكن لا يسع لنا هذا الاستعراض العابر لبحث واسع . وعلى كل فإننا نقول على سبيل المثال إنَّ الانسان قد عثر على الجزء الأصغر للمادة ، وهو الذرة (ATOM) ، ثم اكتشف أجزاء دقيقة لتلك الذرة . وهى الالكترون والبروتون والنيوترون . ثم كشف أشعة تخرج من بعض هذه الذرات ، وهى أشعة ألفا (ALFA RAYS) وأشعة بيتا (BETA RAYS) وأشعة غاما (GAMA RAYS) .

لقد عرف هذه الأشياء- بعد مجهودات شاقة ودراسات فاحصة . ثم اطلع على أن هناك يوجد الكهرباء السلبى فى الالكترون ، والكهرباء الايجابى فى البروتون . ولكنه لم يكشف

الغطاء عنها ليعرف ما هما في الحقيقة ؟ كما أنه لما تعقل بأن القوة الكهربائية بنفسها ما هي وما هي عملياتها الأصلية ؟ ثم ما هي التفاعلات الذاتية للقوتين السلبية (NEGATIVE) والإيجابية (POSITIVE) ؟ والجدير بالذكر أن تسميتها بالإيجابية والسلبية إنما هي تحديد لعملية ظاهرة من التدافع والتجاذب . فأما التعريف المنطقي الصحيح لها فهو لا يمكن . لأن حقيقة هذه الأجزاء الدقيقة مازالت مستورة .

هذه اشراقة للعالم الذرية المشحونة بالكهرباء التي تكونت منها سائر العناصر الكونية المادية وإذا تفحصنا عن هذه العناصر والذرات وتفاعلاتها الكيميائية فأننا نزداد في حيرة على حيرة . والحقيقة أن عوالم العناصر لا تشبه في تفصيلاتها إلا بعالم طلسم مذهل ، بل انها فوق ذلك .

والخلاصة أن الاكتشافات الجديدة العلمية عن جميع المواد الكيميائية وصفاتها وخواصها وتفاعلاتها ، لم تتخطَ حدود «الأسماء» التي علّمها آدم حتى الآن . والحق أن جميع ما اكتشف من الذرات والمواد وأجزائها الداخلة هي «الأسماء» فقط من هذه الناحية . ولم يتمكن الإنسان على تفهم التعليقات الصحيحة الحقيقية لأشياء الكائنات ، سواءً في أجزائها ونعوتها وصفاتها وآثارها وجميع ما يتعلق بالعلوم المادية . وهذا هو السرّ الأبدى والحقيقة العظيمة التي يكشفها القرآن بقوله :

﴿وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١)

(١) سورة الإسراء الآية ٨٥ .

والذى نسميه فى النوادى العلمية والأدبية «بحقائق الأشياء» و «اكتشاف الأسرار المكنونة إنما هى مصطلحات تعنى فى تبين الجوانب الظاهرة للأشياء المادية ، والانسان يطير فرحاً بأنه عرف الحقائق وكشف الغطاء عنها . ومع ذلك ليس لاكتشافاتها الظاهرة أهمية بالغة أمام الحقائق المستورة الأصلية . ولذلك سمّاها لقرآن بأسلوبه البليغ «بعلم قليل» . ولعل هذا لتشجيع الانسان ومُداراته ، لئلاّ يسم من اكتشافاته وجهوده ومحاولاته ؛ يقول عالم أورنى بهذا الصدد : «إن الاكتشافات العلمية الحديثة لا تغوص فى بحر «المجهول» ولكنها تهباً تصورات مبهمة «المعلوم» بالمشاهدين الذين ينتهى بصرهم فى الظلام إلى الحقيقة عمقاً أكثر من غيرهم . ولكن السؤال ما هو المعلوم فى العلم ؟ يكون جوابه الفلسفى «لا شىء» . فإذا قال عالم إنّ هناك «معلوم البعض» فإرادته أنه يعرف بعض مماثلات فى الأحداث ، يسدّد التخيل فى بادىء الأمر أن هناك عوامل ، ثم هذه المماثلات الملاحظة ترشد إلى أن هذه المظاهر تابعة لقوانين» .^(١)

والحق أن المصطلحات العلمية إنما هى كلمات بحتة خالية عن الصفات والمؤثرات التى تراد بها كما يقول المفكر الشهير جوتية (C.E.M. JOAD) :

«الصفات التى تتعرض لنا فى شتى اختباراتنا أليماً وليالى ، أليماً كانت فى الأسلوب الحكيم ، فهى جميعها تمتاز من ناحية بأن تلك

الأشياء التي تشرح بهذه الصفات في المصطلحات العلمية إنما تكون خالية منها على الإطلاق. (١)

والعالم الطبيعي آرثر ايدنكتون ARTHUR EDDINGTON يقرر الكائنات الطبيعية بكائنات العلامات . فلا يعلم العالم الطبيعي إلا علاماتها فقط . كما يقول :

«إذا سئل عالم طبيعي ما هو الأثير وما هو الالكترن أو ذرة كهربائية ؟ فلا يشير في جوابه إلى كُرّة البلياردو (BERTRAND RUSSEL) أو إلى شيء محسوس . بل يشير إلى بعض علامات ومجموعة المساواة الرياضية التي تتكون بهذه العلامات بتمام المطابقة . أما السؤال بأن هذه العلامات لأى شيء تتمثل وما تقوم مقامه ؟ فجوابه الحافل بالأسرار أن العلم الطبيعي لا يهتم بهذا الغرض . وليس هناك أية وسيلة لاختبار هذه العلامات وفحصها . كأنه إذا أردنا أن ندرك المظاهر الطبيعية فيكفيها تفهم نفس تلك المساواة التي ضبطت بالعلامات . فلا حاجة إذا إلى فحص ما هو المقصود بهذه العلامات» . (٢)

قد تبين فيما اسلفنا أن الانسان لا يعلم الا ظواهر الأشياء وتفاعلاتها الظاهرية فقط . وهى «الأسماء» أو «العلم القليل» في نظر القرآن الكريم . ولا يعلم حقائق الأشياء وكنهها وبواطن أمورها . فهى داخله فى الشؤون الغيبية أو العالم الغيبى . والسرّ فيه لئلا يصبح

(١) A Guide to Modern Thought, by C.E.M. Joad.
(٢) Science and Unseen World, by Sir Arthur Stanley Eddington.

الانسان مستبدّاً ومتمرداً ، يدعى الألوهية أو المساواة في نظام الكون بمعرفة جميع الحقائق وأسرار الكائنات . بل لا بد له أن يشعر ضعفه وعجزه بالشدة فلا يخادع نفسه ولا يغتر .

وبالجملة فالانسان إنما يستفيد بظواهر الأشياء ويستخدم فوائدها ، ولكنه لا يقدر على ادراك ماهياتها الأساسية النهائية بأى طريق ووسيلة . وهذا العلم الحقيقى والمعرفة التامة إنما تليق وتجدر بخالق الكائنات ومُبدئها وربّها واللهها فقط ، سبحانه وتعالى . ولذلك قال تبارك وتعالى :

﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾^(١)

وهذه هي الحقيقة الأبدية والسر الالهى الذى يشهد به جميع المظاهر الكونية ، وليس للعلماء والفلاسفة الا أن يعترفوا بذلك في هذا المجال . فإن الفيلسوف المعروف وعالم المظاهر هربرت سبنسر يقول : «إن التصورات الأساسية العلمية لا تفوز في شرح نظام الكائنات في مراميه أكثر من الدين . فإن علمنا الذى يتعلق بعوالم الداخل والخارج لا يزال في إطار من التغيرات الكثيرة ، ولا سبيل بها إلى معرفة البداية والنهاية ، ولا إلى العلة الأولى والغاية الأخيرة . فإنما جهازنا العلمى يتكون من حيث أنه يدرك المظاهر المحدودة فقط» .^(٢)

ويقول المفكر جوتيه (C.E.M. JOAD) :

«إن التيار المنفجر للمعارف الحديثة ، منبعه العلوم الطبيعية ،

(١) سورة الأنعام الآية ٥٩ .

(٢) تاريخ الفلسفة الجديدة . هو فدينج . ترجمتها الأردنية . ٥٣٣/٢ - ٥٣٦ .

ولكن حدثت الثورة في تصوراتنا في نصف القرن الماضي تجاه الدنيا الطبيعية . وواقع الأمر أنه يتعرض لنا شكل جديد لجزء المادة الأساسى وجهازه فى كل أربعة - خمسة أعوام» .^(١)

وان فيلسوف العصر الراهن برتراندرسل (BILLIARD-BALL)
لقد اعترف هذه الحقيقة المبررة بقوله :

«إن التقدّمات العلمية فى العصر المعاصر قد انتهت بنا إلى
مواجهة وضع مبررذى شأن بأن كل خطوة تقدمية يقلل معارفنا التى
كانت فى تصورنا من قبل» .^(٢)

كأن التجاهلات - بهذه التصريحات - تزداد كلما تتقدم العلوم
المادية ، فلا تنتهى إلى «حقيقة الأسماء أبداً ، على رغم أن الانسان
يشق صدور الذرات ، فيستخدم طاقاتها المودعة فيها ، ويخترع
متوجات عجيبة ورهيبية . ولكنه فى واقع الأمر يجهل كل الجهل ،
كما هو يضرب المثل بالفارسية : «عرفت بأنى لم أعرف شيئاً» .
فنظراً إلى جميع هذه الأهداف والمراعى يقول الله عز وجل :

﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فى السموات والأرض﴾^(٣)

﴿وفى الأرض آيات للموقنين . وفى أنفسكم أفلا
تبصرون﴾^(٤)

(١) Guide to Modern Thought, Chapter One.
(٢) Will to Doubt, P. 181.

(٣) سورة يونس الآية ١٠١ .

(٤) سورة الذاريات الآية ٢٠ - ٢١ .

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ
الْحَقُّ﴾^(١)

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ
فَعَلَيْهَا﴾^(٢)

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَلَ الْفُرْقَانُ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٣)

(١) سورة فصلت الآية ٥٢ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٠٤ .

(٣) سورة الفرقان الآية ١ .

انهزام النظرية الماكينكية

وهذه هي المعارف الحقّة غير المرفوضة ، التي تبطل الانجاهات المادية الخاطئة وسائر محاولاتها الخادعة الماكرة تجاه الكون ونظاماته . ومع ذلك فإنها تهدم أيضاً بناء الماديين والميكانيكيين الذين بنوه في القرن التاسع عشر ، وتبطل جميع دعاويهم بأن تفسير العوالم المادية وشرح سائر أعضائها يمكن من الوجهة المادية والميكانيكية ، ويمكن تعليل جميع نظاماتها على أساس ميكانيكى خالص ، فهى كالماكينات ، حتى الجسم الانسانى ودماغه وفكره وارادته . فإذا لا حاجة أن نقرّ قوة فوق الفطرة وأن تؤمن بها .

يقول جيمس جينز : «قد أدى هذا الاتجاه إلى أن ادّعى بعضهم أن الغاية النهائية في العلم الطبيعى أن يصير العلم كلّ ميكانيكياً» .^(١)

وهذه الحركة إنما نشأت من نتيجة أفكار جليليو (GALILEO) ونيوتن بتفسير قوانين الحركة وقوانين التجاذب الكونية المادية في القرن السابع عشر . ثم فرض بعد ذلك أنه يمكن جميع التعديلات المتعلقة بمظاهر الكون والمادة بهذا النمط والمنوال كذلك . ولكن فشلت هذه النظرية الباطلة شر فشلة وانتهت إلى

مصيرها المحتوم في بداية القرن العشرين لظهور الاكتشافات الجديدة ، مثل نظرية الكم أو المقدار QUANTUM THEORY (١) والنظرية النسبية THEORY OF RELATIVITY (٢) .

ومن المصادفة العجيبة في دنيا العلم أنه في القرن التاسع عشر ، لما قد شبَّ علم الطبيعة وترعرع على أسس نيوتن ، ظهرت في نفس ذلك الزمن اختبارات وملاحظات ، تزلزلت بها قوائم هذا العلم وانقض عهده على الدوام . يقول جيمس جيتز :

«ونظرية الكم أصبحت اليوم كمبدأ وأساس من أسس الطبيعة الجديدة . وهذه هي النظرية - الكهربائية - قد قضيت على العهد الميكانيكي من العلم وأبدأت عهداً جديداً» . (٣)

ثم العلم لم يلتفت إلى خلقه قط ، بل انه قد تقوى بالاكتشافات الحديثة يوماً فيوماً . ثم قد اكتشف بعد بأن ليس هناك فرق بين المادة (MATTER) والطاقة (ENERGY) بل كلاهما يتحوّل في شكل غيره . أى المادة يتشكل في زىّ الطاقة ، والطاقة في المادة . فمن هذه الوجهة ضيّعت المادة ماديتها بتمامها . لأنها قد فقدت تصلبها وأضاعَت ثباتها واستقرارها وسائر صفاتها التي أوجب لها الماديون في القرن الماضي . يقول المفكر جوتيه في هذا الصدد :

(١) نظرية تقول بأن عملية إصدار الطاقة من قبل الذرات أو الجزيئات لا تتم على نحو متواصل ولكن على مراحل . كل منها كتابة عن ابتعاث مقدار من الطاقة بدعى الكم .

(٢) نظرية أينشتاين في الكون . وهي تقوم على المبدأ القائل بأن مقاييس المكان والزمان نسبية .

(٣) انظر الباب الثاني في كتابه السابق ذكره .

«لا يوجد اليوم منهاج هذا الفكر مطلقاً . أى كون المادة متصلة
وبديهية ككتلة وكومة . بل هى كشيء هارب لا يمكن امساكه ،
وهو فى غاية البساطة والطاقة من غير التناهى . إمّا هو بروز للزمان
والمكان ، أو هو خليط مركب من الكهرباء السائل ، أو يعبر
بموجب من الاحتمال يتراقص فى العدم» .^(١)

والعالم الطبيعى ايدنكتون (EDDINGTON) يلتقى الضوء على هذه
الصفة الجديدة للمادة فيقول :

«لا يلج العلم الآن على أن الحقيقة عبارة عن الحساسية . بل
الحق أن المادة قد انقرض مفهومها اللغوى وأصبح فى ذمة التاريخ
منذ زمن . ومنزلتها فى الطبيعة قد سقطت فى الأسفل»^(٢)

ويتقد الدكتور الكسس كاريل على الذين هم البقية الباقية
اليوم للفكر الميكانيكى نقداً شديداً حيث يقول :

«إن المحاولات فى شرح المظاهر النفسية بمصطلحات تفاعلات
الخلايا أو بالحرارة الميكانيكية ، إنما هى التلاعب باللفظ
بنفسها ، ومع ذلك هناك البقية الباقية من علماء وظائف الأعضاء
الميكانيكيين من القرن التاسع عشر ، الذين يرتكبون الخطأ نفسه .
لأنهم يحاولون أن يجعلوا للإنسان دوراً فى نظمات الطبيعة
والكيمياء . واستنباط النتائج المنحرفة مثل هذا بالتجربات
الصحيحة إنما هى المغالة التخصيصية فى الفنون» .^(٣)

(١) انظر الباب الأول من كتابه فى الانكليزية «الدليل للفكر الحديث» .

(٢) انظر كتابه «العلم وعالم الغيب» بالانكليزية . الفقرة : ٥ .

(٣) الإنسان ذلك المجهول . بالانكليزية . ص ٤٣ . طبعة بمباى . ١٩٥٩ م .

ويقول جيمس جيتز في ابطال قانون التعليل واتجاهاته المادية :
 «كان العلم القديم قد أعلن بكمال الثقة والاعتماد بأن الفطرة إنما تنطلق على طريق واحد مخطط من بداية الزمان إلى نهايته . أى هناك سلسلة طويلة من العلل والمعلولات وهى ممتدة من الابتداء والانتها (لا اختلال فيها) . فحالة الباء تنشأ بعد حالة الألف لازمة ، لأن من وجهة قانون التعليل لا بد أن يكون الأمر هكذا . ولكنه فى الاتجاه الجديد ليس ضرورياً أن تنشأ حالة الباء بعد حالة الألف يقيناً ، بل إنما يكون ذلك بالامكان» .^(١)

فهكذا قد أهمل هذا القانون العلّية والسببية فى جميع المظاهر المادية فى العصر الحديث لأنه لا يوجد فى أصغر ذرات الكون أى تعليل وتسبب ، كما يقول العالم الطبيعى هاستل (HASTELL) :
 «اللبّات الأساسية (يعنى الالكترونات والبروتونات) بنفسها عارية بانقياد التعليلات ، حتى بعد الاطلاع على جميع شؤونها لا يمكن التنبأ بأن تلك الذرة ماذا تفعل بعد ثانية أو بعد لحظة أو بعد سنة ؟ ثم كذلك لا يمكن التنبأ بأن ذرة من هذه كيف تعمل ؟» .^(٢)

وصدق الله العلى العظيم حيث قال : ﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾^(٣)

ثم إن هذه المعارف تُثبت حقيقةً أخرى - بعد الغاء جميع

(١) انظر الباب الثانى فى كتابه السالف ذكره .

(٢) Unsolved Problems of Science, P. 13.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٥ .

التعليلات والمسببات - بأن هناك قوة فوق الادراك ، تحرك ما كينة الكائنات ، ويُدبر الأمور كُلُّها بكمال القدرة والوعى والعلم والحكمة والغاية المنشودة ، فلا يغفل عنها لثانية واحدة ، وإلا فيختلّ العالم وما فيها في لحظات عديدة . وهذه هي الحقيقة التي كشفها القرآن الكريم بأساليب شتى :

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَسْمَكُهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(١)

﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢)

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٣)

﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٤)

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾^(٥)

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾^(٦)

﴿قُلْ أَغْيَرِ اللَّهُ ابْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٧)

(١) سورة فاطر الآية ٤١ . (٢) سورة المؤمنون الآية ٨٨ .

(٣) سورة يس الآية ٨٣ . (٤) سورة البقرة الآية ٢٢٥ .

(٥) سورة النساء الآية ٨٦ . (٦) سورة الزمر الآية ٦٢ .

(٧) سورة الأنعام الآية ١٦٤ .

المشيئة والقدره لله وحده

فإذا ألغى جميع قوانين المادة وتعليقاتها في هذا الكون ، فلم يبق هناك إلا مشيئة الله وقدرته تعالى سبحانه . وهذه نتيجة منطقية لهذا الاتجاه . ومن هذه الوجهة الارادة والاختيار والربوبية إنما تثبت لله الواحد القَهَّار . فليس في الكون وجود أن ينحاز ويتخلص من هذه الارادة والربوبية - من الناحية الطبيعية - مَهْمَا كَبُرَ أَوْ صَغُرَ وَمَهْمَا جَلَّ أَوْ خَفِيَ ، إلا في الأمور الشرعية والأخلاقية . وليست هذه من «فلتات الطبيعة» كما يسميها المادّيون . بل هي من ارادة الخالق وقدرته ومشيئته . وهو الذي يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد . وليس لكائن وجود مادّي بُدَّ ، إلا الامثال والانقياد .

﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾^(١) .

﴿الم تعلم ان الله على كل شيء قدير﴾^(٢) .

﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾^(٣)

﴿ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها﴾^(٤)

﴿إنما امره إذا اراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾^(٥)

﴿هو الذي يُصَوِّرُكُمْ في الأرحام كيف يشاء﴾^(٦)

(١) سورة القصص الآية ٦٨ . (٢) سورة البقرة ١٠٦ .

(٣) سورة السجدة الآية ٥ . (٤) سورة هود الآية ٥٦ .

(٥) سورة يس الآية ٨٢ . (٦) سورة آل عمران الآية ٦ .

هذه هي الربوبية الشاملة لله تعالى ، التي قد سادت جميع
العوالم وأحاطت بالكائنات الحية والجمادة كلها . فهو الربّ الوحيد
الذى يحرك وحده ما كينة هذا الكون كيف يشاء ويفعل ما يريد .
وهو الذى بيده ملكوت كل شىء من الأنظمة الطبيعية والكيميائية
والبيولوجية والجيولوجية ونحوها . وهو الواحد القهار الذى يملك
جميع أزمنة الكينونات وجهات متعددة .

﴿الم تر أن الله يُزجى سبحانه ثم يُولف بينه ثم يجعله ركاماً فترى
الودق يخرج من خلله ويُتزل من السماء من جبالٍ فيها من برد
فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء﴾^(١)
﴿أو لم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك
لآيات لقوم يؤمنون﴾^(٢)

﴿فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً
ومن الأنعام أزواجاً يذروكم فيه ليس كمثل شىء وهو السميع
البصير . له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
إنه بكل شىء عليم﴾^(٣)

﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم
من يمشى على رجلين ، ومنهم من يمشى على أربع ، يخلق الله ما
يشاء ، إن الله على كل شىء قدير﴾^(٤)
﴿لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء آناً
ويهب لمن يشاء الذكور . أو يُزوجهم ذكراً وآنناً ويجعل من

(١) سورة النور الآية ٤٣ . (٢) سورة الروم الآية ٣٧ .

(٣) سورة الشورى الآية ١١ - ١٢ . (٤) سورة النور الآية ٤٥ .

يشاء عقيماً إنه عليم قدير^(١)

فالمشيئة والاختيار في عالم الخلق والتكوين والتدبير لله وحده سبحانه وتعالى . وهو العليم الخبير بالغيب والشهادة ، وهو الملك القدوس المهيمن العزيز الجبار من جميع هذه الجهات . وليس لكيثونة من الموجودات حق في هذه المشيئة والاختيار في تدبير الكون ونظام الطبيعة ، حتى لا تملك نفس في أمر ما يرجع إلى نفسها بنفسه . أى من الشؤون الطبيعية والجسمية والمادية - ولذلك قد نرى الله تعالى هذه المشيئة لغيره على الإطلاق :

﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ إن الله كان عليمًا حكيمًا^(٢)

﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾^(٣)

نطاق العمل الانساني :

وهناك سؤال هام ينشأ في الأذهان ، يجب توجيهه . فما هو المراد الحقيقي بالمشيئة وكيف تختص بالله سبحانه وتعالى ، وواقع الأمر انما نرى الانسان كذلك يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد؟ فالجواب أن الانسان وإن كان له الخيرة بأن يفعل حسب مشيئته ، الا أنه في نطاق ضيق . فهو الخيار المحدود على أن يبدل أنظمة الكون وحركاتها وفاعلياتها وتأثيراتها ، حتى انه لا يملك على تغيير جهازه الجسمي بنفسه وتفاعلاته المختلفة ، فضلاً عن غيره من أمور

(١) سورة الشورى الآية ٤٩ - ٥٠ .

(٢) سورة الإنسان الآية ٣٠ . (٣) سورة التكوين الآية ٢٩ .

التكوين . بل هو عاجز ومسكين وبائس من هذه الوجهة .
وأما ما نرى من تقدمه في شتى مجالات العلم والتكنولوجيا إذ أنه
يحرك الماكينات العظيمة ، ويُرهّب العالم بتكوين القنبلات
والقاذورات ، ويمدّ سَلَمَ التسلُّق إلى الكواكب ، فيرتقى إليها ويملأ
الأجواء بالأقمار الصناعية ، ويشق صدور الذرات فيخرج ما فيها
من طاقات وفوائد ، ويصنع بالمواد الكيميائية مركبات جديدة
مُدْهِشَة ، ويفكر ويدبّر في تبديل خلايا بعض الأجسام بتبديل
الجينات (وهي الخصائص الوراثية التي توجد في الخلايا) يأخذ من
بعضها ويدخل في بعض من حيث ينشأ نوع جديد ، ليحدث ثورة
في عالم الجينات والخلايا (وهذا العمل تحت تجربة واعتبار إلى
الآن ، ولم يفز في مراميه) . فهذه الأعمال والنشاطات كلها على نظام
الفطرة ودرها بنفسها . فالإنسان ليس في الحقيقة موجد شيء ولا
خالق موجود مهما جلى أو خفى . بل إنما هو كاشفه ومفتّشه
ومستخبره فحسب . وهذه القوانين الكونية جارية ومنطلقة على
سنتها ومنوالها منذ خلق الله السماوات والأرض . فالله سبحانه وتعالى
هو الذي أجرى هذه القوانين والنظامات بتقديره المحكم وقضائه
المبرم ومشيبته البالغة في الكائنات المادية ، لتتم حكمته وغايته ،
وليستفيد الإنسان من هذه الموجودات ويستخدمها بكل يسر
وسهولة . كما يقول تعالى :

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ
فِى ذٰلِكَ لَآيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَّتَفَكَّرُونَ﴾^(١)

(١) سورة الحاقة الآية ١٣ .

﴿الم تروا ان الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض
واسبع عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾^(١)

وكما تقدم الشرح أن الانسان لا يعلم ولا يدرك كنه الموجودات
وحقائق بواطنها ، مهما ارتقى سلم العلم فنتهى إلى أعلاه . بل إنما
علمه دائر فى إطار ظواهر الكينونات وتفاعلاتها فيستخدمها بعد
كشف تفاعلاتها واستخبار قوانينها الظاهرة فحسب . فليس له يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد على الاطلاق .

فخلاصة البحث أن مشيئة الله تعالى تشمل جميع الشؤون
الطبيعية والنظامات الكينونية الأساسية التى لا مشاركة فيها لأى
كينونة ولا بشر . والاعتقاد بالعكس يكون الشرك بالله تعالى . الذى
أنذر به عباده فى كتابه . وأما الانسان فله المشيئة والخيار أيضاً
ولكن فى مجال الفكر والعمل ، بأن يختار ما هو الصواب فيما
يعمل ، وأن يفرق بين الخير والشر . فإن الله تعالى قد بين له السيلين
كليهما ، ليختار ما هو الأصلح والأقوم . كما يقول تعالى :
﴿انا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾^(٢)

القضاء والقدر أمر محتوم :

ثم إن هذه المشيئة والقدرة الالهية تشير وتنتهى بنا إلى حقيقة
أخرى خطيرة ، بأن هناك تخطيط وتنظيم شامل لهذا الكون
وأنظمة . إذ لا يحدث فيها أية خلل ولا فطور . بل يسير جميع هذه
الموجودات وما فيها من نظامات وقوانين بكل ترتيب وتنسيق . وهذا

(١) سورة لقمان الآية ٢٠ . (٢) سورة الانسان الآية ٣ .

النظام البالغ والعناية الكاملة من غير فساد واختلال ، هي التي تسمى في الاسلام بالقضاء والقدر . أى لقد قدر الله تعالى سائر أمور الموجودات والكينونات قبل أن يخلقها ويوجدتها . فهي كلها تجري وتمثل على الطريق المرسوم المخطط من باريه عز وجل . فليس عقيدة القضاء والقدر إذا أمر رجعى أو أمر ينجل المسلمون أن يتفوهوا به . بل هي أمر حقيقى أبدي ، ولا يرد على رغم تقدم العلم وشموله .

فإن الله تعالى قد صرح في كتابه المجيد وفي كلماته الأبدية الخالدة ، أنه يدبر جميع ما بين السماء والأرض ، ويقدر لها شؤونها وآجالها وصفاتها وحركاتها ومؤثراتها وقوانينها وما إلى ذلك من قبل أن يخلقها ، كما يقول :

﴿الذى خلق فسوى . والذى قدر فهدى﴾^(١)

﴿إن الله بالغ أمره . قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾^(٢)

﴿هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل﴾^(٣)

﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم﴾^(٤)

﴿ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾^(٥)

﴿وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم﴾^(٦)

(١) سورة الأعلى الآية ٢ - ٤ . (٢) سورة الطلاق الآية ٣ .

(٣) سورة يونس الآية ٥ . (٤) سورة فصلت الآية ١٢ .

(٥) سورة الفرقان الآية ٢ . (٦) سورة الحجر الآية ٢١ .

﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر . وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر﴾^(١)

فإن لم يكن هناك تقدير وتدير من الله عز وجل ، فلا يمكن إذاً أن يجرى هذا النظام المدهش - من السماء إلى الأرض وما فيها من عجائب الخلق والتدير - بنسق وترتيب بغير خلل وفساد . فنفس هذا النظام المدرب المنسجم يدل ويشهد على مقدر حكيم ومدير عظيم فليس في هذه الكائنات شيء يكذب هذا .

الربوبية والألوهية :

إن الله تعالى هو الذى خلق السماوات والأرض اظهاراً لقدرته ، وأنشأ الأكوان والعوالم اراءةً لجلاله وجلاله ، وجعل الشمس والقمر لتنوير الأرض ونضارتها ، وخلق الجبال والأنهار لتروية الخلق وتغذية الأنام . فقدّر بين عباده الأقوات والآجال لا ابتلاء الانسان . وهو الذى يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ويعلم جميع ما فيها ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماء والأرض . يسيّر الخلق بنظمات محكمة وقوانين متقنة ، وهى التى يكشفها الانسان يوماً فيوماً ، فيدهش لما فيها من دقة وانسجام من الصنائع الربانية . وعلى كل ، فإن هذه النظمات الربانية - بشكل النظمات الطبيعية - هى التى تسمى «الربوبية» في مصطلح القرآن والاسلام . و«الرب» هو الذى يهتم بهذه الأمور كلها ، من انشاء الخلق وترتيبه واشرافه واكماله . فمن هذه الوجهة فالله هو الرب تعالى ، ولا يكون

(١) سورة القمر الآية ٤٩ - ٥٠ .

إلا واحد في هذه الكائنات كما تشهد له وحدة نظاماتها المتخيرة .
 فلاقتضاء المنطقي يطالبنا أن نتخذ هذا الرب - وهو الرحمن
 الرحيم ، الشفوق على خلقه - الهاً نعبده ، ولا نعصيه في أمر ما .
 وهذه المطالبة ليست مطالبة رجعية ولا تذكراً للعصور الوحشية .
 بل هي اقتضاء عصر العلم والعرفان . وليس للعقل السليم أن
 ينكرها .

﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم
 استوى على العرش . يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس
 والقمر والنجوم مسخرات بأمره . الا له الخلق والأمر تبارك الله
 رب العالمين﴾^(١)

﴿الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم
 فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات . ذلكم الله ربكم فبارك
 الله رب العالمين . هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له
 الدين الحمد لله رب العالمين﴾^(٢) .

العهد الجديد للنهضة الدينية :

كنا نبحت عن الحركات العلمية المتطورة ، والانحرافات
 المادية ، وفشل النظرية الميكانيكية ، وتأثيراتها في مجال العلم
 والفكر . وبالتالي فلقد تجلّت في هذه التنقيحات القيم القرآنية
 ومقوماته وانكشفت قيمته من وجهات عديدة وجديدة . فإن هذه
 الاتجاهات الحديثة والحقائق الثابتة قد فتحت باباً جديداً لإثبات

(١) سورة الأعراف الآية ٥٤ . (٢) سورة غافر الآية ٦٤ - ٦٥ .

حقائق الدين والمظاهر الروحية ، بل أحدثت ثورةً في عالم الأفكار والنظريات ، فَتَقَلَّبَتِ الحقائق والأحوال ، وتبدلت المقاييس والأقدار ولقد اعترف ايدنكتون (EDDINGTON) هذه الحقيقة بقوله :

«التطور الثورى الذى حدث فى دنيا العلم والفلسفة ، أكثر من غيره ، هو أن لا يسع لنا الدم للمظاهر الروحية التى تتعلق بفطرتنا بحيث أن لا علاقة لها بالعالم الحسى» .^(١)

هذا اعتراف سلبى من عالم مادى بصوت خاشع . والحق أن الاكتشافات الحديثة قد مهّدت السبيل للمطابقة والانسجام بين الدين والعلم ، كما أنها أبادت المادية واستأصلت جذورها .

ومن المصادفة العجيبة أيضاً أنه كانت تحكم المادية الدنيا الفلسفية فى القرن الماضى ، فكذلك يحكمها «العقل» فى القرن المعاصر . وهو المذهب التصورى (IDEALISM)^(٢) الذى يثبت العقل والوعى ، ضد المادية العمياء الصمّاء . البكاء . وهذه النظرية - التصورية - وإن كانت تنكر المادة كشىء أساسى ، إلا أنها تؤيد الدين وتناصره ، وتمهّد السبيل لتفسير جديد للدين ونهضته .

فهكذا يزول الضباب وتصفو السماء رويداً رويداً ، ويتحسن الجو بأدوات ولوازم جديدة . فالتصورات والأقدار التى كانت

(١) انظر الفقرة ٣ . فى كتابه السالف ذكره .

(٢) نظرية تقول بأن الحقيقة المطلقة كامنة فى عالم يتعدى عالم الظواهر . (ب) نظرية تقول بأن الطبيعة الأساسية للحقيقة كامنة فى الوعى أو العقل .

يستندب ذكرها في الأوساط العلمية «المتنوّرة» أو في حلقات ثاقبة الفكر إلى أمس ، فقد أصبحت اليوم هي حديث النوادي ، حتى في حلقة الطبيعيين بنفسها . ومن المعلوم أنها هي قلعة محكمة للعلم وطليعته . فإذا فتحت هذه القلعة فماذا بقى هناك بعد ذلك ؟ فالعلماء الطبيعيون باتوا يقرون تلك المظاهر التي كانت موضوع النزاع حتى عالم آخر فوق هذه الدنيا الطبيعية ، لحل قضاياهم المعقدة المعضلة التي تتعرض لهم أياماً وليالي . كما صرح بذلك المفكر جوتية بقوله :

« فتأثير ذلك الشأن الجديد على الفور ، أن العلماء الطبيعيين يشعرون الآن بحاجة إلى أن يتجاوزوا حدود الطبيعة لحل القضايا التي يواجهونها في دنيا الطبيعة . وأنا قد أشرت - سابقاً - إلى أنهم احتاجوا الآن إلى الفلسفة ؛ فكثير من العلماء الطبيعيين قد أخذوا التفلسف . وأنتهوا إلى أن هناك عالماً آخر ، وراء هذا العالم الذي يبحثه العلم الطبيعي . وذلك العالم هو وحدة عقلية أو روحية . ويقال إنَّ المادة صورة ظاهرة لتلك الوحدة . كأن هذه خطوة إلى الاعلان بأن العقل هو الحقيقي ، والمادة مخلوقة له . وعلماء الطبيعة المعاصرون يُعلنون هذا بنفس رحابة الصدر وب نفس المنوال الادّعاى الحكيم الذى ارتكبه الماديون السالفون في القرن الماضى ، بحيث أعلنوا بأن المادة هي الحقيقة ، وأن العقل غير هام ، وهو الصادر من المادة» .^(١)

وعلى كل ، فإن كثيراً من الفلاسفة الجدد مثل هائزن برج

(١) « دليل الفكر الجديد » . الباب الأول .

(HEISENBERG) ، وجيمس جينز (JAMES JEANS) ، وايدنكتون (EDDINGTON) ، وفايت هيد (WHITEHEAD) وغيرهم متفقون على أنه يوجد العقل في الكائنات بالنسبة إلى المادة ، وأن هناك «عقل» أو «ذهن آفاقي» (UNIVERSAL MIND) ، وإن لم يقرؤا بوجود خالق ورب بنفسه ، اللهم الا بعضهم . هذا هو التطور العظيم والانقلاب الرئيسي المرموق في دنيا الفكر والفلسفة والحكمة الطبيعية . فلقد انقضى الآن العهد المادى المتحكم المتطرف المسيطر على الأفكار والأذهان . كما أنه من الوجهة الأخرى قد ضاق نطاق العلم ، وتحدت جولته وصولته محصورة الأطراف والمرامي لا يتجاوز ولا يتخطى هذه الحدود . كما صرح بذلك عالم طبيعى :

«والغرض أن غاية العلم إنما هي الدلالة على أن الأشياء كيف تعمل . لا ما هي في الحقيقة بنفسها . وبالتالي فماذا يُفتى ذلك البائس في الدين» .^(١)

وصدق الله عز وجل حيث يقول :

﴿وِيرِيكُمْ آيَاتِهِ فَإِنَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾^(٢)

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ﴾^(٣)

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرُكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾^(٤)

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتَنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ

الْحَقُّ﴾^(٥)

(١) Unsolved Problems of Science, P. 30.

(٢) سورة غافر الآية ٨١ . (٣) سورة الأنبياء الآية ٣٧ .

(٤) سورة النمل الآية ٩٣ . (٥) سورة فصلت الآية ٥٢ .

المنهاج القرآنى فى طريق الاستدلال

وفى هذا المقام تمس بنا الحاجة إلى بعض التفصيل فى منهاج القرآن الاستدلالى الذى يتعلق «بآيات الله» و «علم الأسماء» ليتم هذا البحث من كل وجهة . فبناء على هذا نقول إن كلمة «الآيات» فى الآيات الكريمة المذكورة أعلاه ، هى جمع «آية» وهى «العلامة الظاهرة لكل شىء» . قال الفراء الآية : من الآيات والعبر ، كما قال تعالى : ﴿لقد كان فى يوسف وأخوته آيات﴾ ، أى أمورٌ وعبر مختلفة . (١)

وقال الراغب : وهى من الآيات المعقولة التى تتفاوت بها المعرفة بحسب تفاوت منازل الناس فى العلم . وقيل الآيات إشارة إلى الأدلة . (٢)

وقال الأستاذ حميد الدين الفراهى : الآية ما تستدل به على أمر وليست هى تمام الدليل ، بل تنبّهك على الدليل . والفرق بين الآية والدليل المنطقي من وجوه :

١ - ان الآية ما عليه بناء الدليل المنطقي ، مثل أن يقال : العالم متغير ، وكل متغير حادث . فتغير العالم فى هذا المثال هو الآية على

(١) لسان العرب لابن منظور . ٦٢/١٤ . طبعة بيروت . دار صادر .

(٢) المفردات فى غريب القرآن . ص ٣٣ . طبعة بيروت .

حدوثه .

٢ - ان الآية موجودة في فطرة الفكرة ، والدليل المنطقي أمر مفروض .^(١)

فالآيات إذاً التصورات المجردة من غير جمع وترتيب . والذهن هو الذى يجمعها ويرتبها ويجعلها صالحة للقضايا الاستدلالية . وهذا هو المنهاج الفطرى والطريقة الاستدلالية الاستقرائية التى تباين من منهاج الفكر اليونانى أصلاً . وهو الذى أعرض عن هذا المنهاج - الاستقرائى - اعراضاً كاملاً ، وتغلغل فى الطريقة الاستخراجية الفجّة التى ليس فيها ربح كثير . والامام ابن تيمية رحمه الله تعالى انتقد المنهاج اليونانى نقداً شديداً ، وصرّح بأن هناك فرقاً عظيماً بين هذين المنهاجين بين اثبات الرب بالآيات وبين اثباته بالقياس البرهانى ، كما يقول :

«وأما استدلال الله تعالى بالآيات فكثير فى القرآن . والفرق بين الآيات وبين القياس أن الآية هى العلامة ، وهى الدليل الذى يستلزم عين المدلول . ولا يكون مدلوله أمراً كلياً مشتركاً بين المطلوب وغيره . بل نفس العلم به يوجب العلم بعين المدلول . كما أن الشمس آية النهار . قال تعالى : ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة﴾^(٢) . فنفس العلم بطلوع الشمس يوجب العلم بوجود النهار . وكذلك آيات الرب تعالى ، نفس العلم بها يوجب العلم بنفسه المقدسة تعالى ، لا يوجب علماً كلياً مشتركاً

(١) ملخص من « مفردات القرآن » للفراهي . ص ١٤ . طبعة الهند .

(٢) سورة الإسراء الآية ١٢ .

بينه وبين غيره . (١)

وحقيقة الأمر أن الموجودات الخارجية هي الآيات لوجود الله تعالى . ولذلك علمها تعالى الانسان ليكون على خبرة ومعرفة منها . وهذا هو السر في نزول أول القرآن مما يتعلق بهذه الحقيقة ، كما قال تعالى :

﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم﴾ (٢) .
يفسر الامام ابن تيمية تفسيراً بديعاً هذه الآيات التى ينحل بها كثير من العقد الذهنية والفلسفية ، التى كانت تشوش الفكر والذهن منذ زمن بعيد ، وتتجلى لنا فلسفة جديدة ، وهى فلسفة القرآن الكريم ، الذى يرشدنا فى مجال الفكر والفلسفة أيضاً ارشاداً تاماً ، ولكن ليس فى أسلوب فلسفى . بل تتجلى هذه المعارف بطريق التدبر فى آيات كلام الله الخالد . فيقول :

«وذكر التعليم بالقلم ، لأنه يقتضى تعليم الخط . والخط يطابق اللفظ وهو البيان والكلام . ثم اللفظ يدل على المعانى المعقولة التى فى القلب فيدخل فيه كل علم فى القلوب . وكل شئ له حقيقة فى نفسه ثابتة فى الخارج عن الذهن . ثم يتصوره الذهن والقلب . ثم يعبر عنه اللسان . ثم يخطه القلم . فله (هكذا أربع مراتب) : وجود عيني ، وذهني ، ولفظي ، ورسمي . (أى) وجود الأعيان والأذهان واللسان والبيان . فالأول هو المخلوق والثلاثة (الباقية) معلّمة .

(١) كتاب الرد على المنطقيين . ص ١٥١ . طبعة لاهور .

(٢) سورة العلق الآية ١ - ٤ .

فذكر الخلق والتعليم ليتناول المراتب الأربع» (١).

فالأسماء التي علمها الله تعالى آدم عليه السلام ، كانت هذه هي المراتب الأربع للأشياء الكونية المادية ، ليكون على بصيرة تامة ، ولا يتوحش من هذه المظاهر بعد ظهوره في الدنيا وساحتي الحياة والخلافة . بل ليتعرفها مع صفاتها وآثارها ونظاماتها الظاهرية ، ليتمكن على استخدامها وتسخيرها ، فيتمتع بفوائدها ويجنب مضارها . وكانت هذه الأهداف والمرامي لا تتم الا بتعليم هذه المراتب الأساسية الحقيقية . ولذلك علمها خالقها وبارئها في بداية الأمر .

فالأسماء من هذه الناحية هي الآيات الدالة على وجود الخالق والرب . أو بتعبير آخر : فالآيات إنما هي الأسماء الحاملة لمفاهيم ظاهرة - حسب تفهّمات البشر على اختلاف أحوالهم ومعارفهم - تصلح لتكوين الأدلة العلمية الدالة على وجود الخالق المبدع البارئ ، بدلالات واضحة في كل عصر ومصر . فالأسماء والآيات كلتاها مستلزمتا للأخرى ولا تنفك عنها . وهذه حكمة ربانية عجيبة . وهذا هو الهدف الأساسي الذي ذكره البارئ سبحانه وتعالى في هذه الآيات ، لتكون أسساً لتدوين الأدلة العلمية لهداية البشر كافة .

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية . ٢٦٤/١٦ - ٢٦٥ .
(٢) فإن هذه الأسماء لا تقبل أية تغير ولا تطور في مفهومها الأصلية . إلّا ما يظن الناس من مفاهيم من سوء فهمهم وتصوّرهم لعدم تمكنهم على جميع ما يقتضى الشؤون والاعتبارات للتفهّمات الصحيحة والاختبارات الكاملة .

٢٩ - الحاجة إلى تدوين الأدلة العلمية على منهاج القرآن الكريم :

فمن هذه الوجهة الحاجة ماسة إلى اتمام هذا العمل وتدوين الأدلة العلمية الكونية - وهي الأدلة الآفاقية والأنفسية حسب مصطلح القرآن الكريم - على منهاج القرآن الكريم وأهدافه ومراميه . وهذا دينٌ على عواقب علماء الاسلام ، ما لم يؤدّوا واجباتهم الدينية لارشاد البشر التائه ، وتوجيهه حسب متطلبات العصر .

ومن حسن الحظ أن جميع العلوم الكونية الحديثة إنما تنطلق منطلق المفهوم القرآني أو على منهاجه المرسوم المخطّط . بل هو الذي مهّد هذا الطريق لأول مرة في هذه الدنيا - كما يظهر ذلك بالدراسة التاريخية - لاثبات معتقداته ودعاويه الأبدية والأهداف الأساسية من نفس الوجهة العلمية . لتكون حجة بالغة ودروساً ناصعة على المنكرين بوجود الله تعالى وربوبيته ووحدانيته وقدرته وعلمه البالغ الواسع المحيط بجميع الأشياء الكونية التي لا يحيد منه شيء ، وبإمكان المعاد ووقوعه ، وغير ذلك من المطالب العالية . وقد قال الله عز وجل :

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾^(١)

وهذه الدعوة بالأساليب الثلاثة المتنوعة المذكورة في هذه الآية الكريمة ، تجمع وتضم إليها جميع مقتضيات العصر أيضاً ، لأن

(١) سورة النحل الآية ١٢٥ .

الاسلام دين حق خالد ، ليس مؤقتاً . فنظراً إلى هذا المرمى «الجدال الأحسن» لا يتم اليوم ولا يكون حجة على العصر المعاصر الا بالاستعراض الشامل للعلوم الحديثة الكونية المعاصرة ، على منهاج القرآن ونمطه ومنواله ، ثم تدوين الأدلة العلمية «بالآيات والأسماء» التي تنطق العلوم الحديثة وتتحدث عنها كثيراً . كأنه يحيل إلينا أنها إنما تتمثل «التعليم والتعلم» بين الله وبين آدم ، بأزياء جميلة وحلل فاخرة نفيسة . وهذه التمثيلات تكون بارزة ومنتورة أكثر من قبل ، كلما تقدمت العلوم وتنجلى الأسرار .

ولعلها الغاية الكبرى والرئيسية التي كانت مقصودة من تعليم هذه الأسماء ومتعلقاتها في بداية الأمر ، لئلا يغضّ المسلمون خاصة - وهم الورثة لعلوم الأنبياء ومعارفهم - عن تعليم هذه الأسماء وتعلم متعلقاتها . فإن هذا العلم - علم الأسماء - بهذا الاعتبار معقود به الخير من وجهتي الدينية والدنيوية كما بينا . فليس من المعقول أن يرفض المسلمون هذه الأسماء وعلومها ومعارفها التي علّمها الله تعالى بنفسه لصالح دينهم ودنياهم ، وأن يتوحشوا منها وحشة تؤدّيهم إلى خسارة الدين والدنيا .

والغرض أن هداية البشر من ناحية الفكر والعقيدة هو الهدف الأول لتزليل القرآن ورسالات الدين . فالقرآن - وهو رسالة الله الأخيرة النهائية - يعنى ويهتمّ بهذا الهدف بأكمل طريق بأساليب متنوعة . ولكن لا يسع لنا هذا المقام تفصيلها والبحث الواسع عنها . فلنذكر هنا بالإشارة أموراً ما نحن الآن في صددّها لاتمام البحث بالابحاز .

لقد ذكر الله تعالى أن في كل كينونة من الموجودات وفي كل

شئ من الكائنات علامات ظاهرة وسمات بارزة ، يتعقلها المتوسّمون وأولوا الألباب ، إذا تفكروا وتأملوا في نظمات هذه الأشياء والموجودات وفي كيائها وطبائعها وأجهزتها المتحيرة المدهشة . التي تدل على وجود خالق ورب ، وتنطق عن حكمة وعقل ومعرفة وكمال الخبرة والغاية . كما يقول تعالى :

﴿ وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾^(١)

- ﴿ إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين ﴾
- ﴿ وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون ﴾^(٢)
- ﴿ وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون ﴾^(٣)
- ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ﴾
- ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ﴾
- ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم ﴾
- ﴿ ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ﴾
- ﴿ ومن آياته يُريكم البرق خوفاً وطمعاً ﴾
- ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ﴾^(٤)
- ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ﴾^(٥)
- ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة ﴾^(٦)

(١) سورة الذاريات الآية ٢٠ - ٢١ . (٢) سورة الحجارة الآية ٣ - ٤ .
 (٣) سورة يونس الآية ٦ . (٤) سورة الروم الآيات ٢٠ - ٢٥ .
 (٥) سورة فصلت الآية ٣٧ . (٦) سورة الشورى الآية ٢٩ .

﴿وَايَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ
يَأْكُلُونَ﴾^(١)

﴿وَايَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ﴾^(٢)
﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾^(٣)
فالأيات مثلها كثيرة جداً وردت في القرآن الكريم . وتظهر أهمية
هذا الموضوع وخطورته بأن كلمتي الآية والآيات قد وردت في
القرآن الكريم ٤١٧ مرة ، فلا يجوز صرف النظر عنها .

والآيات - كما شرحنا سابقاً - هي الأسماء الحاملة لظواهر
المفاهيمات للموجودات الكونية . فالأشياء التي خلقها الله سبحانه لا
يُحصيها إلّا هو . وهذه تكون ملايين بلايين . والعلم الجديد قد
اكتشف إلى الآن مليوناً وربعاً فقط ، من الحيوان والنبات المبتوثة
على وجه الأرض .^(٤) وكذلك توجد هناك عدة مئات ألف - أو
عدة ملايين - من المواد المركبات النامية (ORGANIC COMPOUNDS)
والمركبات الغير نامية (INORGANIC COMPOUNDS) ، بالإضافة إلى ما كشف
الكاشفون ملايين بلايين من النجوم والكواكب والمخبرات .

فللبحث والفحص عن هذه الموجودات والكينونات وماهياتها
وتراكيبها ، لا بدّ المعرفة والنبوغ في العلوم الكونية الحديثة - وهي
علم الطبيعة ، وعلم الكيمياء ، وعلم الأحياء ، وعلم الجيولوجيا وعلم
الأفلاك وفروعاتها الكثيرة ، التي تبحث عن هذه الأشياء الكونية .
وبدون النبوغ في هذه العلوم يستحيل لنا فهم «الأسماء» فهماً تاماً ،

(١) سورة يس الآية ٣٣ . (٢) سورة يس الآية ٣٧ . (٣) سورة غافر الآية ١٣ .

(٤) Asimov's Guide to Science, Vol. 2, P. 304.

وتدوين الأدلة العلمية التي تكون حجة على علماء الفطرة سواء .
فالقرآن منزل من الله ليكون حجة على جميع طبقات البشر بالسواء
كما قال تعالى :

﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾^(١)

﴿ان هو إلا ذكر للعالمين . ولتعلمن نبأه بعد حين﴾^(٢)

فعلماء الاسلام مسئولون لاتمام هذا العمل الجليل عند الله
وعند الناس ، لأنهم هم الذين ألقيت على عواتقهم مسئوليته
مباشرة . كما أن أصحاب الحكومة والمناصب العليا هم أيضاً شركاء
فى أداء هذه المسئولية سواء بالسواء . وبما أن الفرد الوحيد لا
يستطيع أن يتمهر فى سائر العلوم لاتساع مجالاتها ، فلا بد أن تكون
هناك جماعة تتكون من أفراد أخصائيين فى علوم شتى وفنون مختلفة
من الدين والعلم جميعاً ، ليكون هذا العمل على مستوى عالٍ
ونطاق واسع . فيجب على أمراء المسلمين أن يتكفلوا هذه الجماعة
الخاصة لاتمام هذه الحاجة الملحة ، التى تكاد تجعل كلمة الله هى
العليا ، فتكون حجة على النوع البشرى وسائر طبقات الناس حسب
متطلبات العصر المعاصر . وهذه هى حاجة الساعة .

قال الله تبارك وتعالى :

﴿خلق الله السموات والأرض بالحق ان فى ذلك لآية

للمؤمنين﴾^(٣)

(١) سورة الفرقان الآية ١ .

(٢) سورة ص الآية ٨٧ - ٨٨ .

(٣) سورة العنكبوت الآية ٤٤ .

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ
لِّأُولِي الْأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ
وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا
بَاطِلًا . سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(١)

(١) سورة آل عمران الآية ١٩٠ - ١٩١ .

خلاصة البحث

بحثنا فيما سبق عن مفهومات الأسماء ومتعلقاتها - وهى القيم والأقدار القرآنية - من ناحيات شتى ، فى ضوء العلوم الحديثة . واتضح لنا من خلال هذه المباحث أهمية العلوم الحديثة وقيمتها من الوجهة الدينية والدنيوية . فإن هذه العلوم لها أهمية بالغة فى الساحة العسكرية والسياسية والحضارية والاجتماعية - كما لاحظنا ذلك من قبل وكما سنلاحظه فى الصفحات الآتية - وكذلك لها أهمية فى حقل الفكر والفلسفة . فمن جميع هذه الجهات لا بد لنا النبوغ والتقدم فيها . وبهذا العمل الفكرى والانطلاق الحضارى يفتح باب النهضة الاسلامية وتمهّد النشأة الجديدة للمسلمين فى مجال الخلافة فى الأرض إن شاء الله عز وجل .

العبرة فى قصة آدم :

قال تعالى : ﴿فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَشْكُرُونَ﴾^(١)

نظراً إلى الملاحظات السابقة ، هناك سؤال هام قد ينشأ فى بعض الأذهان - كما سألتى بعض أصدقائى ، لما عرضت عليهم هذا البحث فى بعض النوادى العلمية - أنه هل كان آدم عالماً بالفطرة ،

(١) سورة الأعراف الآية ١٧٦ .

حتى تمكن من معرفة جميع العلوم الكونية ونظاماتها وخصائصها ؟
 فقلت لهم بأن هذا سؤال واهٍ أمام المنصوصات القرآنية . فإنه يقول
 بكل وضوح إن الله تعالى علّم آدم جميع الأسماء ، وقد صرح
 المفسرون بأن المراد بذلك سائر موجودات الكون وصفاتها
 وخواصها ، كما سبق تفصيلها . فكيف يسع لنا الانكار أو الشبهة
 في هذه الحقيقة الواقعية ، وان لم نفهم كيفية هذا التعليم . فقد قال
 الله عز وجل :

﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾^(١)

﴿أَمَّنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾^(٢)

﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي﴾^(٣)

وعلى كل ، يجب علينا أن نؤمن بجميع ما ثبت من النصوص
 القرآنية ومعارفه الأبدية . ثم ان من التأملات والنظرات الفاحصة
 في هذه القصة العجيبة يتبين لنا الحكمة الالهية بأن هناك أهمية بالغة
 وقيمة ذات شأن لهذا التعليم الرباني في حياة بنى آدم بالنسبة منه .
 ولذلك هذه القصة مذكورة في القرآن الكريم بأسلوب بديع رائع
 وبناية خاصة تذكّر للناس وارساخاً في الأذهان مع اخفاء بلاغ
 منهم ذوبال . فالنكتة المركزية في هذه القصة الطريفة إنما هو التعليم
 الشامل لجميع أسماء الكون ثم تفضيل آدم على سائر الملائكة .
 فأظهر الله تعالى بهذا العمل فضل العلم على سائر الخلائق . كأن هذه
 اشارة بأن من حفظ هذه الأسماء وتمهّر فيها ، يكون له الفضل

(١) سورة آل عمران الآية ٦٢ .

(٢) سورة هود الآية ١٧ .

(٣) سورة الأنعام الآية ٥٧ .

ويسيطر على غيره . فكانت هذه القصة - من هذه الوجهة - تذكرة وذكرى للمسلمين بأن لا يتناسوا ولا يغفلوا عن هذه الأسماء في شئون حياتهم الاجتماعية ، فيخسروا خسراناً ميبئاً ، فليكونوا على تذكر ووعي منها دائماً . لأن هذا العلم - علم الأسماء - يفتح لهم أبواب الخلافة وأبواب السلطة والسيطرة على غيرهم ، كما فضل آدم على غيره بهذه الميزة . هذه هي العبرة والموعظة الأولى في قصة آدم ، التي قد نسيها المسلمون في العصر الراهن فتخلفوا في حقل الخلافة والسيادة .

الخلافة الأرضية والمسلمون :

ثبت بهذه التصريحات فضل «علم الأسماء» أو «علم آدم» الذي له أهمية بالغة في مجال الخلافة الأرضية . فإن الأمم المميّزة بهذه الصفة يُرهّبون الأمم المتخلفة ارهاباً شديداً ويهدّدونهم يوماً فيوماً بأنواع من التهديدات ، كما تُشاهدها اليوم عياناً . ومن هذه الوجهة قد فاق كثير من الأمم والشعوب في هذا المجال ، فتمهّروا في العلم والتكنولوجيا وسيطروا على العالم ولكن المسلمين بالعكس قد باتوا مُتخلفين في هذه الساحة . لأنهم قد نسوا «علم أيهم» فطرحوا «المفتاح الرئيسي» الذي يفتح به جميع الأبواب في ميدان الخلافة الأرضية . فاتّهبوا إلى بؤس وشقاء من الوجهة العلمية والاجتماعية والعسكرية والسياسية والدولية والدبلوماسية وانهمزوا في جميع ساحات الحياة انهزاماً مخزياً . فخلفهم غيرهم من الشعوب والأمم ، وأخذوا مكانهم يحيطونهم ويهدّدونهم بالوسائل المادية الرهيبة ،

متسلحين «بأزياء الأسماء» . فقد تجاوز الدمار حدّه ، وبلغ الفساد نهايته ، فليكونوا الآن على صحوة ، وليعودوا إلى ما هو الصواب ، لاسترداد مجدهم واسترجاع مفقودهم . فلا تحصل لهم الخلافة بالأمنيات والأحلام بالنهار . فإن الصورة القائمة الموجودة أمامنا إنما هي عقوبة لخطيئتنا وزلتنا وفشلنا في هذه الساحة . قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يَغْيِرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(٢) .
وقال تعالى : ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾^(٣) .

فإن هذه الآيات تنبه المسلمين وتوقظهم من النوم والنعاس الطويل وتهزهم هزاً شديداً وتدفعهم إلى العمل والنشاط . وعلى كل ، فإذا نهض المسلمون بعزيمة جديدة وهمة ناشطة ، وتبأوا للعمل المتواصل والجهد المتعب الطويل من غير سئامة ، فقد نجحوا في هذا المجال نهائياً ، وظفروا به ظفراً ينتهي إلى نهضتهم «خلفاء الأرض» بكل معناه . فهذه هي الخلافة المطلوبة من الله تعالى في هذا الصدد .

قال تعالى : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾^(٤)
وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٥)

(١) سورة الرعد الآية ١١ . (٢) سورة الأنفال الآية ٦٠ .

(٣) سورة محمد الآية ٣٨ . (٤) سورة يونس الآية ١٤ .

(٥) سورة العنكبوت الآية ٦٩ .

وقال تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مَغِيرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١)

اعجاز القرآن وهدايته الشاملة :

هذا هو نداء الساعة والبلاغ الرباني الذي يتجلى لنا من خلال هذه القصة المنسية بكل وضوح وتبيان ، وليس فيه طي ولا تعقّد . بل إنما هي هداية وارشاد من الله تعالى بمقتضى أحوالنا وشئوننا الاجتماعية . فإن كتاب الله الكريم ليس هو يهdy في الشؤون الدينية والشرعية فحسب ، بل هو يهdy في الشؤون العلمية والفكرية والاجتماعية كذلك . فن سوء حظنا وشفاءنا نحن أننا قد رفضنا أن نقبس من أنوار هذا الكتاب الهادي الخالد المعجز ونستنبط من معارفه ونخوض في أغواره ، في قضايانا الحديثة ، التي عرضها علينا العلم والفلسفة والحضارة للتوجيه والارشاد . فإن رسبنا في هذا التوجيه وعجزنا عن حل القضايا المعروضة المطّردة ، التي تحيط بنا في جميع شؤون حياتنا الفردية والاجتماعية ، التي لا مفر منها ولا مهرب لها ، تحيّننا وتفشلنا في منصبنا الديني ودعوانا في سيادتنا العالمية . فلا يثبت بهذا الاتجاه السلبي صلاحية المسلمين ودعواهم بأنهم هم الذين وحدهم على طريق سديد ، ويملكون كتاباً خالداً من الله تعالى يهديهم إلى صراط مستقيم . فلا بد لاثبات هذه الدعاوى وتحقيقها أن نغيّر أوضاعنا النفسية والمقاييس الفكرية أولاً ، ثم نهياً للعمل والنشاط بطريق مرسوم مخطّط ، فنسعى

(١) سورة الأنفال الآية ٥٢ .

لتبديل أوضاعنا الاجتماعية للصحة الدينية والنهضة الإسلامية .
وعلى كل ، فإن كتاب الله الكريم قد جاء يحمل جميع ما
يحتاجه البشر فردياً واجتماعياً ، فيشرح سائر قضاياها التي يواجهها في
شئون حياته المختلفة . يقول الله تبارك وتعالى :

﴿إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(١)

﴿يَهْدِي لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾^(٢)

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى
لِّلْمُسْلِمِينَ﴾^(٣)

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٤)

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٥)

إن القرآن كتاب إلهي خالد ، يحمل ويعالج سائر القضايا
البشرية في حقل الشرع والأخلاق ، وفي حقل الفكر والتصورات
الأساسية . ويكون من جميع هذه الموجهات هداية ورحمة وتذكرة
وبرهاناً . وهو ينصب لهم معالم شتى تبيناً لمراميهم وأهدافه
الأساسية ، ليهتدوا إليها ويستمسكوا عروته الوثقى ، فتكون كلمة
الله هي العليا نهائياً . ولكن أسلوبه ومنهجه في بيان هذه الأغراض
وشرح غاياتها يختلفان عن جميع أساليب كلام الناس كل
الاختلاف . فليس هناك مشاكلة ومماثلة بينهما من أى وجه ، كما
جاء في الحديث النبوي شرحاً لهذا المبدأ والاساس : «ولا تلتبس به

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٥ .

(٤) سورة التكوين الآية ٢٧ .

(١) سورة الإسراء الآية ٩ .

(٣) سورة النحل الآية ٨٩ .

(٥) سورة الفرقان الآية ١ .

الألسنة». وكما جاء بهذا الصدد :

« فيه نبأ ما قبلكم . وخبر ما بعدكم . وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله . ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله . وهو حبل الله المتين . وهو الذكر الحكيم . وهو الصراط المستقيم . وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة . ولا يشبع منه العلماء . ولا يخلق على كثرة الرد . ولا تنقض عجائبه» .^(١)

وهذه صفات عديدة متميزة لهذا الكلام المعجز المدهش الذى يبدى عجائبه فى كل عصور ومن إلى يوم القيامة . فلا يكون شرح له شرحاً كاملاً من هذه الوجهة أبداً . فلقد لاحظنا لمعة وجلوة لهذا الأسلوب البديع المعجز الالهى فى الصفحات السالفة ، حيث القينا الضوء على آية قصيرة (وعلم آدم الأسماء كلها) من ناحيات عديدة فقط ، والا هناك أسرار وحقائق ورموز لا تحصر فانه بحر آخر يعجز الانسان من اجتيازه واسبار غوره . وعلى كل فقد تجلّت لنا فى ثنايا هذا الاستعراض العابر نصوص وبصائر واشراقات ما تتورّ أفكارنا ويصقل أذهاننا ويسدّد تصوراتنا واتجاهاتنا تجاه الدين والعلم والفكر والقضايا الحديثة المهمة التى نواجهها اليوم ، يتلأأ من خلالها روائع ومعارف ربانية ، وهى تلمح كالنجوم فى السماء فى الليلة المظلمة . فهذا هو الاعجاز الأصيل الحقيقى لهذا الكتاب الفريد الفذّ . وهذه هى الهداية الشاملة والارشادات الالهية لعالم البشر الحاضر .

(١) الجامع للترمذى . باب ما جاء فى فضل القرآن .

فإن هذه الناحية ليس القرآن الكريم مجرد كتاب الشريعة والأخلاق . بل إنه في واقع الأمر يجمع الدين والدنيا . فكما هو يشمل القضايا الدينية والشرعية ، فإنه كذلك يشمل التصورات العلمية والفكرية والفلسفية والاجتماعية كلها . فهو إذاً كتاب التصورات الصحيحة تجاه كل شيء من العالم ، يدفع الاتجاهات المنحرفة ، ويمنح فكرة واضحة وتصوراً ناصعاً ، لكل اتجاه نظري ومنهج فلسفي ، يسدّد ما فيه من عوج وخطأ . هذه هي هدايته الشاملة في جميع نواحي الحياة الانسانية وهذه الهداية الربانية لا تتجلى الا بالنظر العميق والدراسة البالغة الفاحصة عن رموزه واشاراته المتناثرة . فهو من هذه الناحية موسوعة فكرية وجيزة متفردة غير متعقدة بأسلوب ناصع سهل ، ومنهج باهر جذاب ، شاهده البشر . فلا يوجد له مثيل في كلام البشر ، ولا يشابهه كلام الناس بهذه الميزات .

وبالجملة فإن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الفريد الذي يستطيع أن يحل جميع القضايا المتعلقة بهذه التصورات والنظريات ، ولا يرضى أن يتيه البشر في طيات الأفكار المنحرفة والفلسفات الخاطئة والنظامات الخاسرة التي تحيط العالم البشري اليوم وتكاد أن تخطفه من هنا وهناك .

الحاجة إلى تكوين مجلس أعلى للمسلمين :

إنّ الحاجة اليوم داعية إلى التفقه الدقيق الصحيح السديد في القرآن الكريم ، وإلى شرحه شرحاً وافياً يطابق المقتضيات العصرية ،

ومواجهة للتحديات المعاصرة ، المعادية للديانات والأخلاق . وهذه هي مسئولية علماء الاسلام .

ومن هذه الوجهة لا بد أن تكون هناك جماعة خاصة من المسلمين ، متكونة من العلماء الأخصائيين في العلوم الدينية والدنيوية ، لاستخراج كنوز الاسلام الثمينة واستنباط روائع كتاب الله وأسراره ودقائقه ومقوماته ، بمعرفة صحيحة ووجهات سديدة ، ليتم هذا العمل الجليل من تفاهات بينهم وتشاورات من ناحيات كثيرة . وتكون هذه الجماعة قبلة أنظار حل سائر قضايا المسلمين وخاصة القضايا الفكرية التي تعارض الدين فلا تحدث ثورة شاملة في مجال الفكر والفلسفة الا بهذه الخطوة الأساسية المباركة . وهذه الخطوة الانقلابية نتقدم إلى ما هو المقصود من هذه الآيات الكريمة :

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾^(١)

هذا بصائر للناس وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٤ .

فهرس الكتاب

الصفحة

٥	مقدمة الكتاب
٧	قضية اليوم
٨	العلم الأول الذى أعطى الانسان ما هى الأسماء
١٣	بعض حقائق مدهشة
١٣	تحسين الأرض مضيئاً للإنسان
١٤	علم الأسماء والعلم الحديث
١٤	علم الأسماء وخلافة الأرض
١٥	أهمية العلوم الكونية
١٧	علم الأسماء والصناعات
١٨	علم الأسماء يقضى على عبودية المظاهر
٢٠	الرد على نظرية النشو والارتقاء
٢٣	حقيقة الخلافة ومفهومها الصحيح
٢٥	وجهة جديدة للخلافة
٢٦	معنى الخلافة الاصطلاحي
٢٩	أهمية الانسان فى هذا الكون
٣٢	علم الأسماء يكشف النظام الالهى
٣٦	علم الأسماء يمهّد الطريق إلى معرفة الله تعالى
٣٧	إن الله يحيط بكل شىء علماً
٣٩	قوانين الفطرة لا تقبل التطور

٤٠	التوافق بين الشريعة والفطرة
٤١	نظام الأسباب والعلل
٤٤	خصائص الأشياء
٤٨	الخطوة الأساسية للنهضة الاسلامية
٥٠	الأسماء فقط ، ليست الحقائق
٦٥	انزعام النظرية الميكانيكية
٧٠	المشيئة والقدرة لله وحده
٧٢	نطاق العمل الانساني
٧٤	القضاء والقدر أمر محتوم
٧٦	الربوبية والألوهية
٧٧	العهد الجديد للنهضة الدينية
٨١	المنهاج القرآني في طريق الاستدلال
	الحاجة إلى تدوين الأدلة العلمية على منهاج
٨٥	القرآن الكريم
٩١	خلاصة البحث
٩١	العبرة في قصة آدم
٩٣	الخلافة الأرضية والمسلمون
٩٥	اعجاز القرآن وهدايته الشاملة
٩٨	الحاجة إلى تكوين مجلس أعلى للمسلمين

صدر من هذه السلسلة

الكتاب

المؤلف

- ١ - تأملات في سورة الفاتحة ————— [الدكتور حسن باجودة]
- ٢ - الجهاد في الإسلام مراتبه ومطالبه ————— [الأستاذ أحمد محمد جمال]
- ٣ - الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين ————— [الأستاذ نذير حمدان]
- ٤ - الإسلام الفاتح ————— [الدكتور حسين مؤنس]
- ٥ - وسائل مقاومة الغزو الفكري ————— [الدكتور حسان محمد حسان]
- ٦ - السيرة النبوية في القرآن الكريم ————— [الدكتور عبد الصبور مرزوق]
- ٧ - التخطيط للدعوة الإسلامية ————— [الدكتور علي محمد جريشة]
- ٨ - صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية ————— [الدكتور أحمد السيد دراج]
- ٩ - النوعية الشاملة في الحج ————— [الأستاذ عبد الله بوقس]
- ١٠ - الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره ————— [الدكتور عباس حسن محمد]
- ١١ - لمحات نفسية في القرآن الكريم ————— [د. عبد الحميد محمد الهاشمي]
- ١٢ - السنة في مواجهة الأباطيل ————— [الأستاذ محمد طاهر حكيم]
- ١٣ - مولود على الفطرة ————— [الأستاذ حسين أحمد حسون]
- ١٤ - دور المسجد في الإسلام ————— [الأستاذ علي محمد مختار]
- ١٥ - تاريخ القرآن الكريم ————— [الدكتور محمد سالم محيسن]
- ١٦ - البيئة الإدارية في الجاهلية وصدر الإسلام ————— [الأستاذ محمد محمود فرغلي]
- ١٧ - حقوق المرأة في الإسلام ————— [الدكتور محمد الصادق عفيفي]
- ١٨ - القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته [١] ————— [الأستاذ أحمد محمد جمال]
- ١٩ - القراءات أحكامها ومصادرها ————— [الدكتور شعبان محمد اسماعيل]
- ٢٠ - المعاملات في الشريعة الإسلامية ————— [الدكتور عبد الستار السعيد]
- ٢١ - الزكاة فلسفتها وأحكامها ————— [الدكتور علي محمد العماري]
- ٢٢ - حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم ————— [الدكتور أبو اليزيد العجمي]

المؤلف

الكتاب

- ٢٣ - الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا — [الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
- ٢٤ - الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر — [الدكتور عدنان محمد وزان]
- ٢٥ - الإسلام والحركات الهدامة — [معالي عبد الحميد حموده]
- ٢٦ - تربية النشء في ظل الإسلام — [الدكتور محمد محمود عمارة]
- ٢٧ - مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامي — [الدكتور محمد شوقي الفنجري]
- ٢٨ - وحى الله — [الدكتور حسن ضياء الدين عتر]
- ٢٩ - حقوق الإنسان وواجباته في القرآن — [حسن أحمد عبدالرحمن عابدين]
- ٣٠ - المنهج الإسلامي في تعليم العلوم الطبيعية — [الأستاذ محمد عمر القصار]
- ٣١ - القرآن كتاب أحكمت آياته [٢] — [الأستاذ أحمد محمد جمال]
- ٣٢ - الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج — [الدكتور السيد رزق الطويل]
- ٣٣ - الاعلام في المجتمع الإسلامي — [الأستاذ حامد عبد الواحد]
- ٣٤ - الالتزام الديني منهج وسط — [عبدالرحمن حسن حبكة الميداني]
- ٣٥ - التربية النفسية في المنهج الإسلامي — [الدكتور حسن الشرقاوى]
- ٣٦ - الإسلام والعلاقات الدولية — [الدكتور محمد الصادق عفيفي]
- ٣٧ - العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية — [اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ]
- ٣٨ - معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها — [الدكتور محمود محمد بابلي]
- ٣٩ - النهج الحديث في مختصر علوم الحديث — [الدكتور علي محمد نصر]
- ٤٠ - من التراث الاقتصادي للمسلمين — [الدكتور محمد رفعت العوضى]
- ٤١ - المفاهيم الاقتصادية في الإسلام — [د. عبد العليم عبدالرحمن خضر]
- ٤٢ - الأقليات المسلمة في أفريقيا — [الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
- ٤٣ - الأقليات المسلمة في أوروبا — [الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
- ٤٤ - الأقليات المسلمة في الأمريكتين — [الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]

المؤلف	الكتاب
[الأستاذ محمد عبد الله فودة]	٤٥ - الطريق إلى النصر
[الدكتور السيد رزق الطويل]	٤٦ - الإسلام دعوة حق
[الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي]	٤٧ - الإسلام والنظر في آيات الله الكونية
[د. البدراوى عبد الوهاب زهران]	٤٨ - دحض مفتريات
[الأستاذ محمد ضياء شهاب]	٤٩ - المجاهدون في فطاني
[د. عبد الرحمن عثمان]	٥٠ - معجزة خلق الإنسان
[الدكتور سيد عبد الحميد مرسى]	٥١ - مفهوم القيادة في إطار العقيدة الإسلامية
[أنور الجندي]	٥٢ - ما يختلف فيه الإسلام عن الفكر الغربي الماركسي
[د. محمد احمد البابلي]	٥٣ - الشورى سلوك والتزام
[أسماء عمر فدعق]	٥٤ - الصبر في ضوء الكتاب والسنة
[د. احمد محمد الخراط]	٥٥ - مدخل إلى تحصيل الأمة
[الأستاذ احمد محمد جمال]	٥٦ - القرآن كتاب أحكمت آياته
[عبد الرحمن خليف]	٥٧ - كيف تكون خطيباً
[الشيخ حسن خالد]	٥٨ - الزواج بغير المسلمين
[محمد قطب عبد العال]	٥٩ - نظرات في قصص القرآن
[الدكتور السيد رزق الطويل]	٦٠ - اللسان العربي والإسلامي معاً في مواجهة التحديات



المؤلف في سطور ..

- ولد الأستاذ محمد شهاب الدين النحوي في غرة رجب سنة ١٣٥٠هـ في مدينة بنجلور في جنوب الهند وتعلم في جامعة نحوه العلماء، ولكنّه، وفاز بنيل الشهادة بالدرجة الممتازة .
- وكان أول من صنف كتابه العلمي العظيم « تفسير القمر في ضوء القرآن » بالآر دية في عام ١٩٧٠م .
- صدر له كتاب هام « النهضة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم » بالآر دية في عام ١٩٨٣م ، وطبع في باكستان .
- ألف كثير من الكتب والمقالات التي تشتمل على المسائل الراهنة الهامة والتي يواجهها العالم الإسلامي في هذا العصر .
- صدر له حديثاً « القرآن الكريم وعلم الأحياء » بالآر دية في ١٩٨٦م .
- أسس المجمع الإسلامي « الأكاديمية الفرقانية » في عام ١٩٧٠م .
- ولقد أفرغ جهوده الفردية في تنمية هذا المجتمع وتقدمه .
- رأس تحرير مجلة « تعمير الفكر » .